



AL-MUJTAMA'A

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2144) - السنة (51) شوال 1441هـ / 1 يونيو 2020م

اقتصاديون يحذرون من تداعيات «كورونا» على اقتصاد الكويت

الأمة..

بين المقاومة والتطبيع



@mugtama



www.mugtama.com



facebook.com/mugtama



@mugtama

الكويت 750 فلساً - السعودية 10 ريالات - البحرين دينار بحريني - قطر 10 ريالات - سلطنة عمان ريال عماني - الأردن 1.750 دينار أردني - لبنان 4500 ليرة - المغرب 23 درهماً

USA \$ 5 - Canada \$ 6 - Australia AUD 6 - URB 3.5 - India INR 110 - Pakistan PRS 200 - Turkey TRY 7 - U.k £ 3

الآن موقع

المجتمع

بحلته الجديدة



facebook.com/mugtama



@mugtama



YouTube Mugtama magazine



mugtama



Info@Mugtama.com



www.mugtama.com

www.mugtama.com



«المجتمع» مجلة إسلامية عالمية شاملة

تصدر أسبوعياً عن «جمعية الإصلاح الاجتماعي» بدولة الكويت، وقد صدر العدد الأول منها يوم الثلاثاء 9 من المحرم 1390 هـ - 17 مارس 1970 م، ومازالت منتظمة الصدور منذ ذلك التاريخ، حددت «المجتمع» هويتها في أول مقال افتتاحي بالقول: إنها «تستمد فكرها الأصيل من الإسلام، وعلى ضوءه وبمقياسه، وتتقبل - بصدر رحب - كل نقد هادف بناء، وترفض النقد الفوغائي الذي يأباه الخلق الإسلامي.. وتمد يدها لكل الناس، يداً ترفع راية الإسلام، وتبشر بالخير والبر، وتقف في تحدٍّ لخصوم الإسلام.. وتكتب في كل القضايا التي تهم أمتنا، وتعالج مشكلات المجتمع بكل جرأة وأمانة، ولن تتخلى عن قضاياها».

ومازالت «المجتمع» ماضية في طريقها الذي رسمته لنفسها؛ حيث تتناول شتى القضايا التي تهم الأمة؛ القضية الفلسطينية والقدس والمسجد الأقصى - قضايا الأقليات الإسلامية حول العالم - موجات الغزو الثقافي والتيارات الفكرية المحرفة - موجات الانحلال الأخلاقي وتذويب الهوية - جهود المفكرين في ترسيخ الفكر الإسلامي وتربية أبناء الأمة - معالم الاقتصاد الإسلامي ودوره في بناء النهضة والنجاحات التي يحققها في مقابل الاقتصاد الربوي الذي كان السبب الأول في الكارثة المالية العالمية.. وغيرها من القضايا.

من أجل ذلك وغيره..

تبرع وساهم معنا بتوصيل أكثر من 3000 اشتراك

■ مدارس وجامعات إسلامية

■ مراكز إسلامية تلح بطلبها

■ لقراء «المجتمع» في العالم الذين لا يستطيعون اقتناءها

الدفع على حساب : 0008881094 بنك بوبيان

(IBAN): KW54BBYN00000000000000008881094

البريد الإلكتروني: sales@mugtama.com

تليفون: 0096597228290 - تليفاكس: 0096522560525

المجتمع

مجلة المسلمين في أنحاء العالم

العدد (2144) - (السنة 51)

إسلامية أسبوعية تصدر شهرياً مؤقتاً
تأسست عام 1390هـ - 1970م
جمعية الإصلاح الاجتماعي - الكويت

رأس مجلس إدارتها

حتى 1427/8/10هـ - 2006/9/3م

عبد الله علي المطوع يرحمه الله

رئيس التحرير

محمد سالم الراشد

مدير التحرير

جمال الشرقاوي

الإخراج الفني

مصطفى عزالدين

الآراء المنشورة بالمجتمع، تعبر عن رأي
أصحابها وليست بالضرورة تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

العنوان البريدي : الكويت ص.ب (4850) الصفاة.
الرمز البريدي (13049)

التحرير

22519539 - 22514180

22513616 (داخلي 205).

mujtamaa@gmail.com

info@mugtama.com

الاشتراكات والتوزيع

تليفاكس: 22560525 (00965)

sales@mugtama.com

الموقع الإلكتروني

www.mugtama.com

موقع جمعية الإصلاح

www.eslah.com

طبعت بمطابع «الهدف» التجارية

المشترك الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تحية طيبة وبعد..

تهدي إليكم مجلة «المجتمع» تحياتها، وتتمنى لكم دوام الصحة
والعافية، وتدعو الله تعالى أن يرفع هذا الوباء والبلاء عن الكويت
والأمة العربية والإسلامية والإنسانية جميعاً.

وإشارة إلى قرار مجلس الوزراء الكويتي بإيقاف طباعة وتوزيع الصحف
والمجلات، وحرص إدارة مجلة «المجتمع» على ديمومة التواصل بين
المجلة ومشتركها وقراءها، نعلمكم أننا سنرسل لكم العدد بنسخة
«PDF» على «واتساب» لحين إعادة الطباعة.

والله الموفق

مع تحيات رئيس التحرير



ادخل على موقع
«المجتمع»



في هذا العدد
قصة هذا العدد

الأمة..

موضوع
الخلاف

بين المقاومة والتطبيع

- 6 • اقتصاديون يحذرون من تداعيات «كورونا» على اقتصاد الكويت.....
- 28 • الكويت ضد «التطبيع».. حكومة وشعباً.....
- 34 • علماء ودعاة: ما بعد «كورونا» يحتاج لمهارات دعوية مختلفة.....
- 46 • «سد النهضة» الإثيوبي.. وما وراء تعثر المفاوضات.....
- 52 • الاقتصاد في ظل أزمة «كورونا».. بين الواقع والمستقبل.....
- 54 • استدعاء مؤقت للتكامل الغذائي العربي في الأزمات.....



يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ
أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

(المائدة)

مشكلة التركيبة السكانية.. رؤية شاملة

ما صرح به سمو رئيس مجلس الوزراء الشيخ صباح الخالد، يوم الأربعاء 3 يونيو 2020م، بأن تعداد السكان بدولة الكويت 4 ملايين 800 ألف؛ يمثل عدد الكويتيين منهم مليوناً و450 ألفاً، وغير الكويتيين 3 ملايين و350 ألفاً؛ أي نسبة 30% كويتيون، و70% غير كويتيين، وذلك خلل كبير، والوضع المثالي للتركيبة السكانية أن تشكل نسبة الكويتيين 70%، ونسبة غير الكويتيين 30%.

وأمامنا تحدٍ بالمستقبل لمعالجة الخلل بالتركيبة السكانية، يشير إلى أن هذه المشكلة باتت تؤرق دولة الكويت على وقع أزمة تفشي فيروس «كورونا» (كوفيد- 19)، حيث أظهرت الاختلالات فيها خطورتها؛ إذ تبين وجود الكثير من العمالة السائبة، خصوصاً أن بعض الدول وضعت العراقيل أمام الإجماع الطوعي أو لمخالفتي الإقامة من رعاياهم؛ مما سبب عجز الحكومات في القيام بالرعاية الكاملة للمواطنين؛ مما هدد بانهيار الأنظمة الصحية، وسرعة تفشي الوباء، فضلاً عن أنها كشفت عن حجم الفساد المتجذر بسبب جشع تجار الإقامات، والاستهانة بحياة العمالة الوافدة؛ وذلك بسبب سكنهم في مناطق عمالية مكتظة، وفي ظروف سكن غير صحية، وعدم توفير أدنى مقومات الحياة الكريمة لهم؛ وهو ما ضاعف العبء على الحكومات في الوفاء بحقوقهم ورعايتهم.

ومن زاوية أخرى، وفي ظل الأزمة الحالية وتداعياتها الاقتصادية التي تراكمت مع هبوط وتراجع أسعار النفط غير المسبوقة في دول الخليج، أصبح من الضروري علاج مشكلة التركيبة السكانية وفق رؤية شاملة، تحقق التوازن في أعداد الوافدين بناء على معايير واضحة واحتياجات حقيقية وتخصيصية، بعد توطيق الوظائف للمواطنين أولاً، وصياغة القوانين والعقود والحقوق التي تكفل لمن يتم الاستعانة بهم، ومحاسبة تجار الإقامات الذين ملؤوا جيوبهم على حساب الطرفين؛ سواء الدولة أو العمالة الوافدة، وعدم تناول المشكلة كشماعة عند كل أزمة لمجرد دغدغة عواطف القواعد الانتخابية دون النظر للمصلحة الحقيقية للمواطنين، وأن تعالج مشكلة مثل البطالة بين الشباب في دولة طاماً وصفت بأنها دولة الرفاه والوفرة المالية.

وبالنظر إلى الاختلالات بالتركيبة السكانية، وما أفرزته من تحديات، لم يعد مقبولاً أن يستمر هذا الخلل على هذا النحو دون وضع علاج للمشكلة بنظرة موضوعية، ورؤية شاملة إنسانية وقانونية وأمنية واقتصادية ودائمة، تضمن الرفاه للمواطنين والإنصاف للوافدين. ■

وكلاء التوزيع:

الكويت: شركة باب الكويت للصحافة:
ت: 22272733 ف: 22272736
distribution@alanba.com.kw



السعودية: الشركة السعودية للتوزيع:
www.saudidistribution.com
الإدارة العامة: الرياض 0096612128000
فرع الرياض: 0096612705837

فرع جدة: 0096626530909
فرع الدمام: 0096638473569

قطر:
دار الثقافة ت: 4622182 / ف: 4621800
البحرين:
مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع
ت: 725111 / ف: 723763

TURKIYE- DUNY SUPER DAGITIM
Tel: (90 - 1) 5120190
Fax: (90 - 1) 5140883

الاشتراكات:

الكويت: 10 دنانير كويتية
الدول العربية: 17 ديناراً كويتياً
الدول الأجنبية: 25 ديناراً كويتياً
للمؤسسات والشركات: 30 ديناراً كويتياً

تشمل عمولة التحويل

الإعلانات:
امتياز الإعلان: مجلة المجتمع
ت: 22560525 - 22560526 الكويت.

اقتصاديون يحذرون من تداعيات «كورونا» على اقتصاد الكويت



كتب - محرر الشؤون المحلية:

سمو الأمير: نواجه تحدياً كبيراً وغير مسبوق يتمثل في الحفاظ على متانة اقتصادنا الوطني



على غرار دول الخليج المنتجة للنفط، تأثر الاقتصاد الكويتي بصدمتين متزامنتين، تمثلتا في أزمة تفشي جائحة «كورونا»، وانخفاض أسعار النفط؛ وهو ما دفع حكوماتها إلى اعتماد حزم تحفيز مالي ضخمة للحد من التأثيرات السلبية لهذه الأزمة على القطاعات الاقتصادية. وقد بدا هذا جلياً في كلمة سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه -بمناسبة العشر الأواخر من رمضان الماضي- حيث غلب عليها التحذير من تداعيات الجائحة على الاقتصاد، والدعوة إلى شدّ الأحزمة وترشيد النفقات.

عام 2014م ومن بعدها توالى عجز الميزانية، وازداد العجز كثيراً بعد نزول أسعار النفط إلى 15 دولاراً أمريكياً تقريباً خلال أزمة «كورونا» الآن، وكانت هناك توجيهات بوضع خطط الإصلاحات الاقتصادية واقتراح مصادر دخل بديلة لتغطي عجز الميزانية وتحسباً لظروف طارئة مثل أزمة «كورونا» الحالية التي صرفت وما زالت تصرف عليها الدولة حتى كادت الميزانية تنفد وتفكر في الاستدانة، وكذلك استخدام صندوق الأجيال القادمة.

وأضاف العبد الجادر أن هناك مشكلات ومخالفات مالية مستمرة منذ سنوات، وإذا لم تتم السيطرة عليها وحلها الآن قبل انتهاء أزمة «كورونا»، فلن تنفع لا مصادر دخل بديلة ولا إصلاحات اقتصادية، وسيستمر عجز الميزانية، وهي مشكلات الفساد والمفسدين، وهذا واضح، وتم التعرف عليهم من خلال الصحف المحلية، ومن جلسات مجلس الأمة، وهم معروفون

أي اقتصادي في الكويت لم يكن يتوقع وجود أزمة اقتصادية في حلول عام 2020م بسبب انخفاض أسعار النفط ووضع الحكومة ميزانيتها على سعر النفط 55 دولاراً بعجز يكاد يصل إلى 12 ملياراً، موضحاً أن أزمة «كورونا» زادت الأمر سوءاً.

وبين الشريعان أن الحزم الاقتصادية للمشروعات الصغيرة والمتوسطة تعجيزية، وكان من المفترض أن يكون هناك تسهيل أكثر في الاقتراض، موضحاً أن قرار إغلاق القطاعات الاقتصادية جاء بقرار من الدولة للحفاظ على صحة الناس، والدولة مسؤولة بأن تعين هذه المنشآت للعمل من جديد والعودة للربحية لمساعدة هذا القطاع وليست التعويض لهم.

أما الخبير الاقتصادي د. عبدالله العبد الجادر، فذكر أن إيرادات الكويت ومصرفاتها معتمدة على بيع النفط، وهناك نسبة بسيطة لا تذكر من استثمارات، وعندما بدأت أسعار النفط بالانخفاض منذ

سيما التراجع الحاد في أسعار النفط وانخفاض قيم الأصول والاستثمارات؛ مما سيؤثر سلباً على الملاءة المالية للدولة.

هذا، وأكد نائب رئيس مجلس إدارة الصندوق الوطني لرعاية وتنمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة عضو المجلس الأعلى للتخطيط والتنمية، د. سعد البراك، أن الاقتصاد الكويتي، خاصة قطاع المشاريع الصغيرة والمتوسطة، ضحية كبيرة في أزمة «كورونا»، ويجب أن تنقذ بحزمة اقتصادية جادة، وليست فقط عبارة عن قروض لفترة معينة لزيادة همومهم ومخاطرهم.

وبين البراك أن الإدارة الاقتصادية للدولة ليست جيدة، مؤكداً أن هناك سوء إدارة متراكماً، أنتج قطاعاً خاصاً مشوهاً يقتات على الإنفاق الحكومي الذي يأتي من الأبواب السياسية وليس الأبواب الاقتصادية الحرفية المستقيمة. من جانبه، أشار أستاذ الاقتصاد بجامعة الكويت د. أنور الشريعان إلى أنه لا يوجد

وصف صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد جائحة «كورونا» بأنها «امتحان يستوجب استخلاص العبر والعظات»، داعياً إلى «ترشيد الإنفاق الحكومي، والعمل على تنويع مصادر الدخل لتقليل الاعتماد على عوائد النفط».

وقال سموه في كلمته: «يمر علينا شهر رمضان المبارك في ظل تطورات انتشار وباء «كورونا» المستجد وتداعياته المتسارعة؛ حيث أصبح العالم يواجه بسببه مشكلات قصوى؛ مما أوجب تضافر جهود المجتمع الدولي بأسره، وتكاتف العلماء وذوي الاختصاص ومراكز البحوث الطبية لإيجاد لقاح ناجع لهذا الوباء».

وأشار سموه، حفظه الله، إلى أن الجائحة هزت أركان اقتصاد العالم ونحن جزء منه، مشيراً إلى أن كويت الغد تواجه تحدياً كبيراً وغير مسبوق يتمثل في الحفاظ على سلامة ومتانة اقتصادنا الوطني من الهزات الخارجية الناجمة عن هذا الوباء، لا

مبخّر

نوعين بخور ممسك
ولاعة - ملقط - فحم



لون آخر



منذ 1928

الشايح للعطور
AL SHAYA PERFUMES

الكويت - السعودية - الإمارات - قطر - البحرين
KUWAIT - SAUDI ARABIA - U.A.E. - QATAR - BAHRAIN

E-mail: afkar@afkar.com.kw - Website : www.alshayaperfumes.com



@alshayaperfumes

الكويت وفقاً لتقرير وزارة المالية بنسبة 78% على النفط هو إحدى أهم المشكلات في الوقت الحالي، بالإضافة إلى زيادة المصروفات بشكل كبير على الجانب الصحي، وبالتالي فنحن نعيش في أزمة مالية منذ عام 2014م بعد انخفاض أسعار النفط، موضحاً أن التعافي لن يكون سهلاً مقارنة بالتعافي بالدول التي تتميز بتنوع مصادر الدخل بها، مشدداً على ضرورة تطوير الصناعات النفطية لتوفير فرص عمل أكبر واستثمارات خارجية وبيع النفط بأسعار لا ترتبط مع تذبذبات الأسعار العالمية.

من جهته، قال أستاذ التمويل بجامعة الكويت د. يعقوب العبدالله: إن «كورونا» فيروس صحي وسريع الانتشار، وأيضاً فيروس اقتصادي! مشيراً إلى انهيار الأسواق العالمية في بداية الأزمة وخسائر أسواق الأسهم نحو ثلث قيمتها خلال الربع الأول من العام الحالي، بالإضافة إلى أن البنوك المركزية العالمية اتخذت إجراءات لم يتم اتخاذها مسبقاً، لا سيما فيما يخص ضخ الأموال وشراء السندات الحكومية لدعم وتعزيز الثقة، بالإضافة إلى أن الحكومة الأمريكية منحت المواطنين مبالغ نقدية لمساعدتهم خلال الأزمة، لا سيما بعد ارتفاع معدلات البطالة.

وأشار العبدالله إلى تأثر قطاع الطيران بشكل كبير من الفيروس، موضحاً أن الأزمة اتخذت منحى سيئاً، لا سيما في بدايتها، وأصبح الغموض هو المسيطر على الوضع الحالي ولا نعلم متى ستنتهي، مبيناً أن إدارة المخاطر عامل مهم في الأزمة، مؤكداً ضرورة أن تقوم الشركات بتوظيف تلك الإدارات بشكل أكبر والتخطيط لأسوأ السيناريوهات المتوقعة حدوثها. ■

لدى الحكومة ومجلس الأمة، ولم تتم إحالتهم إلى النيابة العامة، وأصبحوا مليونيرات على حساب المال العام، ومنهم في الكويت وآخرون خارجها، ويجب كذلك التصرف بسرعة وإحالة تجار الإقامة وتجار غسيل الأموال من دون تدخل أو واسطة إلى النيابة، وفي الوقت نفسه تعديل القوانين وإصدار تشريعات تتناسب لحل هذه المشكلات والفساد.

وأوضح العبدالجادر أن هناك هدرًا ومخالفات مالية كبيرة سنوياً لدى الجهات الحكومية، وهي مستمرة ومكتوبة بتقرير ديوان المحاسبة السنوي لم يتم إيقافها ولا معاقبة المسؤول عنها. من جهته، بين أستاذ الاقتصاد بجامعة الخليج د. أسامة الفلاح أن الأزمة تضم في طياتها 4 أزومات مجتمعة (اقتصادية ومالية وسياسية وصحية)، لافتاً إلى أن الإنتاج والبطالة عاملان رئيسان في فهم حركة الاقتصاد، موضحاً أن الاقتصاد تأثر كثيراً في جانب الإنتاج، والانخفاض في العرض يؤدي إلى انخفاض القدرة الشرائية لدى الأفراد، وكذلك انخفاض الطلب، وأمريكا أعلنت أن نسبة البطالة خلال أزمة «كورونا» بلغت 14.5% وهي أعلى نسبة بطالة تشهدها منذ 80 عاماً.

وأضاف الفلاح: لا أتوقع أن تعود الأمور بشكل سريع، وستكون أبطأ إذا تأثر أي من مصادر الاقتصاد الرئيسة بشكل عميق، وقد ندخل في مرحلة التعافي البطيء جداً إذا كان هناك عمق أكبر للأزمة مستقبلاً، وهناك أمل في التعافي بشكل جيد إذا بدأنا نرى تعافي الاقتصادات الرئيسة في بداية الشهر القادم أو منتصفه.

وأوضح الفلاح أن اعتماد



حوار - سعد النشوان:

مدير إدارة الأنشطة المجتمعية رئيس اللجنة الوطنية
التطوعية بجمعية «الإصلاح» عبدالعزيز الياقوت:

رسالتنا في ظل «كورونا» خدمات نوعية وتفعيل الأدوار المجتمعية

كان للجمعيات الخيرية دور ملموس في دعم جهود الدولة في مواجهة أزمة وباء «كورونا»؛ حيث تنافست الجمعيات في القيام بواجبها الذي شهد له القاضي والداني؛ حيث ضربت أزوع الأمثلة في الدعم والمساندة والإغاثة. وفي هذا الحوار، نلقي الضوء على دور إدارة الأنشطة المجتمعية بجمعية الإصلاح الاجتماعي من خلال هذا اللقاء مع عبدالعزيز عبدالله الياقوت، مدير إدارتها رئيس اللجنة الوطنية التطوعية بالجمعية.

• بداية، نريد أن نتعرف على إدارة الأنشطة المجتمعية من حيث اختصاصاتها ورؤيتها ورسالتها وأهم أهدافها.
- تختص إدارة الأنشطة المجتمعية في جمعية الإصلاح بخدمة المجتمع ونشر الثقافة الشرعية والعلوم الإسلامية والمشاريع التطوعية، والإشراف على جهات العمل في الجمعية المختصة في تعزيز الترابط والتضامن بين مكونات المجتمع الكويتي. وتتمثل رؤية الإدارة في أن تصل إلى «الريادة في طرح المبادرات المجتمعية من

لأجل القدس، وملتقى القدس، وبالشراكة مع العديد من المؤسسات الحكومية والأهلية والفرق التطوعية، بالتزامن مع اليوم العالمي للقدس؛ بهدف تعزيز الموقف المشرف لدولة الكويت؛ حكومة وشعباً، في دعم القضية الفلسطينية، وتعزيز هذه القضية لدى شرائح المجتمع المختلفة، حيث شارك فيه 1500 متسابق.

وكذلك الفعالية البيئية «بيئي أحافظ عليها بيدي»؛ حيث يأتي تنظيم جمعية الإصلاح لهذه الفعالية انطلاقاً من المسؤولية المجتمعية التي تحملها الجمعية على عاتقها تجاه نشر الوعي البيئي، وأهمية المحافظة عليها، والمحافظة على نظافة الشواطئ من المخلفات البيئية، والتعاون مع مختلف الجهات والمتطوعين في هذا المجال من أطياف وأفراد المجتمع كافة.

الفكرة هي أن قام نحو 120 من أبناء الكويت في المرحلة المتوسطة بتنظيف شاطئ أنجفة؛ بهدف تعزيز روح المواطنة في نفوس أبنائنا، وتهيئة المناخ المناسب لهم ليقوموا بممارسة دور تطوعي في المحافظة على ممتلكات الدولة ومرافقها.

مشاريع وبرامج تساهم في نهضة المجتمع الكويتي وحل مشكلاته».

أما رسالتنا فهي «تقديم خدمات نوعية وتوعوية وتطويرية متخصصة في الابتكار للبرامج المجتمعية الفعالة، وتحقيق مفهوم الشراكة مع المؤسسات الحكومية والأهلية، واستقطاب الرموز الشبابية وتفعيل أدوارهم لخدمة المجتمع».

وأبرز الأهداف يمكن تلخيصها في الهدفين التاليين:

1 - تحقيق مفهوم الشراكة مع المؤسسات الحكومية والأهلية والفرق التطوعية.

2 - تكوين فرق عمل شبابية تطوعية متخصصة في الابتكار للبرامج وتنظيم المبادرات المجتمعية.

• هل هناك تنوع في الأنشطة المجتمعية بجمعية الإصلاح؟

- نعم، تتنوع برامج إدارة الأنشطة المجتمعية بجمعية الإصلاح ما بين برامج شرعية وثقافية وبيئية وتطوعية، ومثال ذلك فعالية ماراثون «القدس» الأول الذي أقيم على جسر الشيخ جابر الأحمد رحمه الله، بتاريخ 2019/11/30م، بالتعاون مع رابطة شباب

شارك في ماراثون «القدس»
الأول الذي تعاوناً في
تنظيمه على جسر الشيخ
جابر 1500 متسابق



فريق إدارة الأزمة

والتنمية المجتمعية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي من دعم للأسر المتضررة؛ جراء هذه الأزمة من تقديم السلال الغذائية، قام متطوعو ومتطوعات جمعية الإصلاح بالمشاركة بإعداد ما يقارب 10 آلاف سلة وتوزيعها على مستحقيها.

وقد تم التعاون مع بنك الدم المركزي من خلال تنظيم عملية التبرع بالدم. كما قمنا بتوزيع سلال الخضراوات للأسر المتعففة بتبرع من أحد المحسنين، ومشاركة المتطوعين في توصيل الأدوية لمرضى مركز الدسمة والقادسية الصحي. كما شاركنا بإدارة المتطوعين لمركز استقبال العمالة المخالفة، وإدارة بعض المحاجر الصحية.

كما قمنا بتوزيع 150 سجادة وقنينة ماء زمزم على المرضى المتواجدين في مستشفى جابر بتبرع من أحد المحسنين.. وغيرها الكثير من الأعمال التطوعية.

ومن خلال أمانة العمل النسائي ودورها الكبير في هذه الأزمة، قام الفريق التطوعي النسائي بتصميم منصة تدريب تثقيفية إلكترونية؛ هدفها إعداد وتهيئة المتطوع قدر المستطاع لمواجهة ساحات العمل المختلفة بما يضمن سلامة المتطوع أولاً وأخيراً؛ حيث تضمنت المنصة المجالات الشرعية والصحية والنفسية والأخلاقية، حيث تُعرض في دورات متكاملة ومتنوعة.

• ما مدى التزامكم بالاشتراطات

الصحية أثناء عملكم التطوعي؟

- سلامة المتطوعين في مصب اهتمامنا؛ لذلك حرصنا على توفير المواد الوقائية من الكمامات والقفازات والمعقمات حرصاً على سلامة المتطوعين في ميادين العمل المختلفة. ■

جمعية «الإصلاح» شكلت فريقاً لإدارة الأزمة وفتحت باباً للتطوع سجل فيه نحو 1000 متطوع ومتطوعة موزعين على محافظات الكويت المختلفة

شاركنا بإدارة المتطوعين لمركز استقبال العمالة المخالفة وإدارة بعض المحاجر الصحية

كما تم فتح باب التطوع للمجتمع للكويتي؛ حيث سجل في رابط التطوع نحو 1000 متطوع ومتطوعة موزعين على محافظات الكويت المختلفة.

وانطلاقاً من المسؤولية المجتمعية، ودعماً للجهود الحكومية في مواجهة فيروس «كورونا»، بإدرا بتزويد إدارة الدفاع المدني بكشف يحتوي على أسماء 158 متطوعاً للمشاركة في إدارة الأزمة، حسب توجيه إدارة الدفاع المدني بالتنسيق مع جهات الدولة المختلفة، وكذلك تم تدريب 18 متطوعاً على استخدام الآليات التابعة لبلدية الكويت تحسباً لأي ظروف طارئة بالتعاون مع بلدية الكويت والشركة الوطنية للتظيف.

ومن خلال ما تقدمه نماء للزكاة

وكان من أهداف الحملة -التي تمت بمشاركة عدد من الجهات منها وزارة الصحة وبلدية الكويت والهيئة العامة للبيئة- غرس قيمة العناية بالبيئة والمحافظة عليها عند النشء، وكذلك تعزيز روح المواطنة عند أبنائنا الطلبة بالمحافظة على البيئة والمرافق العامة.

ومن البرامج السنوية التي يقيمها مركز العطاء للشراكة المجتمعية التابع لإدارة الأنشطة المجتمعية «مسابقة العطاء للأعمال والمشاريع التطوعية»، وذلك انطلاقاً من حرص مركز العطاء للشراكة المجتمعية في جمعية الإصلاح الاجتماعي على تفعيل ودعم العمل التطوعي في المجتمع الكويتي، ونشر ثقافة التطوع بين أبنائه، بما يتوافق مع ما أولته القيادة الحكيمة لدولة الكويت من عناية خاصة بالشباب، وتشجيع أنشطتهم التطوعية، وأقام المركز «مسابقة العطاء الرابعة للأعمال والمشاريع التطوعية»، وقد بلغ عدد المشاركين فيها 54 مدرسة.

وقد تميزت المسابقة بالشراكة المتميزة مع وزارة التربية من خلال مشاركة المدارس التابعة للوزارة في المسابقة، وذلك بطرح مبادرات تطوعية مجتمعية ساهمت في تشجيع روح المنافسة بين الطلبة ونشر ثقافة التطوع بينهم، وهذا يتسق مع توجيهات صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله ورعاه، قائد العمل الإنساني، بالعناية بالعمل التطوعي؛ حيث تهدف المسابقة إلى نشر ثقافة العمل التطوعي، وإبراز القيم التربوية في المشاريع التطوعية في خدمة المدرسة والمجتمع، وتعزيز دور الفرق التطوعية والمتطوعين في تحقيق التغيير الإيجابي للطلبة والطالبات في المدارس، وإبراز المشاريع والمبادرات التطوعية المتميزة في المدارس.

علماً أن المسابقة تستهدف الفرق التطوعية في مدارس وزارة التربية بمراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

• ماذا قدمتم من أدوار خلال أزمة تفشي جائحة «كورونا»؟

- خلال أزمة جائحة «كورونا» التي اجتاحت العالم، ومنها دولتنا الحبيبة الكويت، سارعت جمعية الإصلاح، كمادتها وقت الأزمات، بتشكيل فريق لإدارة الأزمة،

التركيبة السكانية بالكويت..

أرقام وأسباب



سعد النشوان

رئيس قسم المجتمعات المحلية

ما يفكرون فيه مصلحة الوطن.
والثاني: قلة أو ندرة القوانين الصارمة تجاه تجار الإقامة.
أما الثالث: عدم قيام الدولة بسياسة إحلال أو توطين المواطنين وفق دراسة علمية تعطي الحق لكل الأطراف، فيجب أن يُعطى المقيم الوقت الكافي والمناسب لينتهي التزاماته المادية والأسرية، وكذلك يجب أن يكون هناك توازن في نسب جنسيات المقيمين.
ويُفرض على صاحب العمل أن يجهز للعمالة الخاصة به السكن اللائق.
وأخيراً؛ يجب أن توضع خطة تحفيزية وبرنامج واضح من قبل الحكومة وبمشاركة مؤسسات المجتمع المدني لترغيب المواطنين الكويتيين في العمل بالقطاع الخاص.
إن هذه الكلمات لا تستهدف أحداً، وإنما لتصحيح نهج حكومي ربما يكون خاطئاً أثّر على المجتمع الكويتي ككل، وأنشأ لنا جيلاً فيه من الاتكالية شيء ليس بالبسيط. ■

المصادر

- 1 - الهيئة العامة للمعلومات المدنية بدولة الكويت، إحصائية 2019/12/31م.
- 2 - دراسة التركيبة السكانية لمجلس الأمة الكويتي، قسم الدراسات والبحوث.

صادرة من الهيئة العامة للمعلومات المدنية، فإنها تنذر بخاطر كبير تجاه المواطنين الكويتيين من حيث الخلل في التركيبة السكانية، خاصة إذا علمنا أن عدد الكويتيين الذين هم فوق الـ15 عاماً نحو 940 ألف مواطن ومواطنة؛ أي بنسبة 67٪ من الشعب الكويتي، وهذه نسبة تعطي انطباعاً أن هذا الشعب فتّي، وبسبب الوفرة المادية والمعيشة المرفهة في الكويت تجد الاعتماد على العمالة الأجنبية في كل شيء.
ولوجود العمالة الأجنبية آثار سلبية كثيرة، منها ظهور ممارسات غريبة على المجتمع، خصوصاً إذا علمنا أن المقيمين غير العرب يمثلون 43٪، ومنهم غير مسلمين، وكذلك ظهور بعض المصطلحات الغريبة على اللغة العربية وخاصة على الأطفال، من خلال الاحتكاك المباشر مع العمالة المنزلية غير المدربة أصلاً، وظهور معدلات بطالة بين الكويتيين، ووقوع الكثير من الجرائم في المجتمع لوجود عدد كبير بدون عمل، وكذلك إدخال الكويت في أتون قضايا حقوق الإنسان والحقوق العمالية.

والسبب الأول في الخلل بالتركيبة السكانية هم تجار الإقامة، وهؤلاء لا تهمهم مصلحة البلاد والعباد أبداً، وإنما يهتمهم ما يدخل إلى جيوبهم من مال، وآخر

في عام 1961م استقلت دولة الكويت من الاحتلال البريطاني ودخلت مرحلة جديدة من البناء والتطور والإعمار، وتطلب ذلك دخول الكثير من الأيدي العاملة إلى البلاد، وبفضل الله تعالى الملائة المالية للكويت ممتازة، وقد ساهمت هذه الملائة بقدوم الكثير من العمالة إلى البلاد منذ بداية ستينيات القرن الماضي حتى يومنا هذا، وكذلك فإن المعيشة في الكويت اقتصادياً جيدة، ومجتمعياً فالشعب الكويتي بالمجمل شعب ودود، وقانونياً يجد العامل الأمان القانوني في حالة حدوث أي خلاف بين العامل وصاحب العمل، فالحقضاء له اليد الطولى لأخذ حق كل مظلوم.

وبعد نحو 55 عاماً من قوانين العمل في الكويت، ظهرت مشكلة كبرى ليست في الكويت وحسب، وإنما في كل دول مجلس التعاون الخليجي؛ ألا وهي مشكلة «التركيبة السكانية»، ونتحدث هنا عن الكويت كمثال؛ حيث تشير الإحصائيات الرسمية في دولة الكويت إلى أن عدد المواطنين الكويتيين مليون و403 آلاف نسمة، وعدد المقيمين 3 ملايين و218 ألف نسمة؛ أي أن الكويتيين يمثلون 30٪ من إجمالي عدد السكان، ويمثل غير الكويتيين 70٪، وتمثل الجنسيات العربية 25٪ من المقيمين وغير العربية 43٪. وبالنظر إلى هذه الإحصائيات، وهي



الأمة.. بين المقاومة والتطبيع

الأمة مؤخراً، رُصدت حالات كثيرة من محاولات «التطبيع» بشتى صوره مع هذا الكيان الغاصب، لا تحصى مظاهرها على ذي عينين.

وخطورة هذه المحاولات التطبعية أنها انتقلت من أروقة السياسة ودواوينها بما يحكمها من مواقف عالمية ومواثيق دولية في بعض المواقف، إلى أن اتخذت مظاهر شعبية واجتماعية وثقافية وفنية، تقتضي دق جرس الإنذار والخطر معها، وهو ما تهدف إليه «المجتمع» في هذا الملف من خلال الموضوعات التالية:

- الأمة.. بين المقاومة والتطبيع مع الصهاينة.
- حرث العقل العربي لصالح الكيان الصهيوني.
- دور الأسرة في مقاومة «التطبيع».
- فخاخ «التطبيع» الثقافي.. المفهوم والاختراق والفنون.
- الكويت ضد «التطبيع».. حكومة وشعباً. ■

تعد القضية الفلسطينية من القضايا المحورية في حياة الأمة العربية والإسلامية على مدار التاريخ؛ بل تعد البوصلة التي تحدد وجهة الأمة، والمقياس الذي يزن قوتها ووحدتها؛ فكلما كانت الأمة قوية وموحدة كانت القضية الفلسطينية بما تمثله من رمزية دينية وعقدية في بؤرة اهتماماتها، والعكس.

ومن أبرز المظاهر الدالة والمعبرة عن موقف الأمة من هذه القضية، وفي القلب منها القدس والمسجد الأقصى، النظرة للكيان الصهيوني؛ فإذا نُظر إليه على حقيقته أنه محتل غاصب يجب مقاومته بكل الوسائل؛ كان هذا دليل صحو ووعي لدى الأمة، لكن إذا نُظر إليه غير ذلك؛ فتم التعامل معه على أن وجوده طبيعي ولا توجد غضاضة في التواصل معه والاعتراف به؛ فهنا كان الخطأ والخطر.

وفي ظل حالة الانهزام الحضاري التي تعاني منها

الأمة.. بين المقاومة والتطبيع مع الصهاينة



أ. د. حلمي محمد القاعود

أستاذ الأدب والنقد

الجهاد، أو فرض عليهم نسيانه، ومع ذلك نهضت المقاومة من جديد في صور الانتفاضة ومنظمات المقاومة الإسلامية التي تشكلت في قطاع غزة والضفة لتتصّ مضجع العدو وتجبره على ترك القطاع ومستعمراته والخروج منهزماً ذليلاً، وإن كان يعوّض ذلك بالقصف الجوي الإجرامي بـ «الفانتوم» ضد منازل القطاع ومساجده ومستشفياته، وقد استطاعت المقاومة المسلحة في القطاع مع الحصار والتضييق إزعاج العدو وحرمانه من النوم، وخاصة عندما يستخدم طائراته المؤذية.

التطبيع الفني والأدبي

وقد أثير مؤخراً موضوع التطبيع بكثافة نتيجة لقيام بعض الجهات والعواصم العربية بتمويل مسلسلات تلفزيونية، ودفع عدد من أتباع السلطات إلى زيارة الكيان الغاصب واستقبال مسؤولين صهاينة في عواصم عربية، وترديد مقولات وكتابة مقالات تدعو إلى التطبيع مع العدو، والمناداة بالتخلي عن قضية فلسطين، وتوجيه النداء إلى رئيس وزراء العدو الحالي ليَقضي على بقايا الفلسطينيين قضاء مبرماً؛ لأن أرض فلسطين -في زعم الكاتين- حق للغزة اليهود، وسبق ذلك كتابات تشكك في قدسية المسجد الأقصى وتكرّر الإساءة إليه، وتهوّن من شأن القادة المسلمين الذين حرّروا القدس من قبضة الصليبيين والمغول، فضلاً عن إهالة التراب على التاريخ الإسلامي والصحابة وقادة الفتوح الإسلامية، وطالب أحدهم باعتذار المسلمين المعاصرين عن هذه الفتوح! فضلاً عن العمل على تحسين صورة اليهودي في المنظر العربي والإسلامي؛ ليكون اليهودي المسالم الطيب الذكي المتحضر الذي يبحث عن التعايش؛ لأن هناك في البلاد العربية من يضطهده بسبب تفوقه ونبوغه!

ومنذ سنوات ليست بعيدة، ظهرت أعمال أدبية وخاصة في الرواية تقدّم اليهودي في

مع أن القتال يبدو مكلفاً ويحتاج إلى نفقات، فإن بناء الجبهة الداخلية وتوافقها على المبادأة يجعل العدو يقلل من عدوانيته وخطرسه وعجرفته، ويحسب حساباً لرد الفعل، فلدينا جنود مخلصون إذا أتيح إعدادهم جيداً، وقادرون بفضل الله أن يوقفوا العدوان، ويحرزوا مكاسب لا بأس بها، صحيح أن العدو يمتلك سلاحاً وإعلاماً واستخبارات تمنحه تفوقاً كبيراً، وتجعله يمتلك زمام المبادأة بالهجوم دائماً، ولكننا نستطيع بالإيمان بالله إعداد ما نستطيع من قوة، وأن نجعله يدفع ثمن جرائمه، وهو ما حققته المقاومة الإسلامية في غزة، ومن قبل في حرب رمضان الخالدة التي شرفت بالمشاركة فيها.

لاحظت أن انتشار مقاومة «التطبيع» طمس المصطلح الحقيقي الذي ينبغي رفعه في كل مكان، وهو «الجهاد» -المصطلح الإسلامي العريق- والمؤسف أن مصطلح الجهاد صار سيئ السمعة لدى جهات عديدة داخلياً وخارجياً، بعد أن نجح الإعلام المعادي للإسلام والأمة بربطه بالإرهاب، وما أدراك ما الإرهاب في مفاهيم الغزاة المعتدين والموالين لهم هنا وهناك؟!

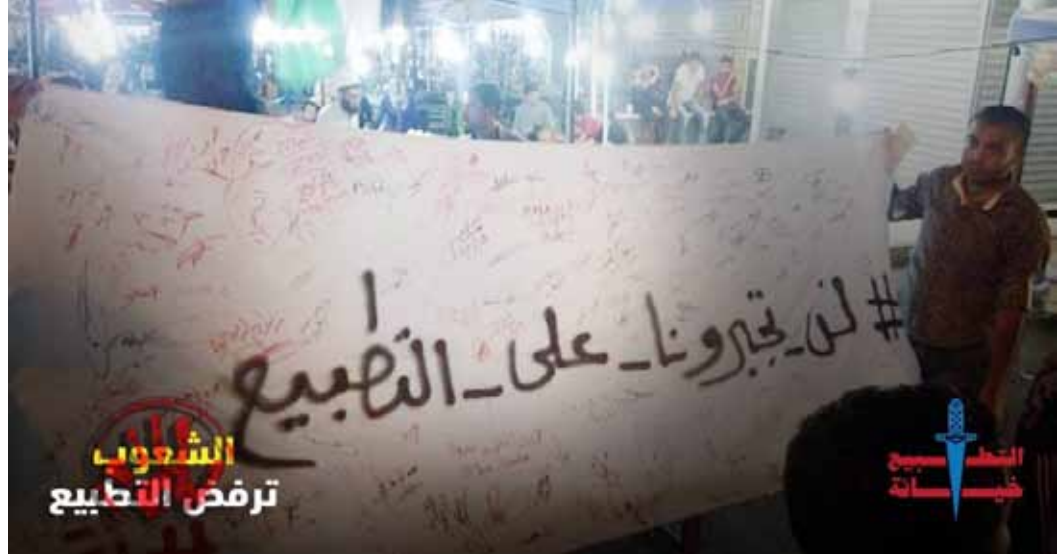
شارك العدو الصهيوني لأول مرة في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة عام 1981م بأوامر علوية، فأثار حفيظة رواد المعرض، وقاموا بالتظاهر ضد المعرض واقترحوا الجناح الصهيوني الذي أغلق بعد أيام قليلة من افتتاحه إلى الأبد، وصحب ذلك اعتقال عدد كبير من الشباب، واستطاع الشيوعيون وأشباههم -وهم يسيطرون على الإعلام والصحافة والثقافة ورئاسة معرض الكتاب طوال السنوات منذ إنشائه- توظيف مصطلح «مقاومة التطبيع» بدلاً من «مقاومة الاحتلال»؛ لأن الشيوعيين أعلنوا من خلال أحزابهم في الأربعينيات من القرن الماضي تأييد قيام الكيان الصهيوني في عام 1948م، واستنكار تدخل الجيوش العربية لحماية الشعب الفلسطيني! ونسي الناس مصطلح

لم أسترح لاستخدام مصطلح «التطبيع» الذي انتشر وشاع بعد اتفاقيات الإذعان في عام 1978م التي سميت باسم «كامب ديفيد»؛ فقد كنت ذات يوم بعد هزيمة عام 1967م لللعينة مجنداً بالقوات المسلحة، وعاصرت ما فعله العدو الصهيوني بشعبنا الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية جميعاً، وعرفت أن التخطيط الجيد وحشد الجهود والمبادرة بالهجوم أقل خسائر من البكاء على عتبات مجلس الأمن والأمم المتحدة، والتفاوض والوساطات والتنازلات.

المقاومة المسلحة بغزة رغم الحصار استطاعت إزعاج العدو وحرمانه من النوم

الشيوعيون أعلنوا تأييد قيام الكيان الصهيوني عام 1948م واستنكار تدخل الجيوش العربية لحماية الفلسطينيين

بعض الأعمال الأدبية قدمت اليهودي بصورة محسنة مقابل المسلمين الإرهابيين الذين أرغموه على ترك وطنه!



أو مبادرة أو نشاط، محلي أو دولي، مصمم خصيصاً للجمع (سواء بشكل مباشر أو غير مباشر) بين فلسطينيين (و/أو عرب) ومحتلين صهاينة (أفراداً كانوا أم مؤسسات) ولا يهدف صراحة إلى مقاومة أو فضح الاحتلال وكل أشكال التمييز والاضطهاد الممارس على الشعب الفلسطيني.

وأهم أشكال التطبيع هي تلك النشاطات التي تهدف إلى التعاون العلمي أو الفني أو المهني أو النسوي أو الشبابي، أو إلى إزالة الحواجز النفسية، ويستثنى من ذلك المنتديات والمحافل الدولية التي تعقد خارج الوطن العربي، كالمؤتمرات أو المهرجانات أو المعارض التي يشترك فيها صهاينة إلى جانب مشاركين دوليين، ولا تهدف إلى جمع الفلسطينيين أو العرب بالغزة الصهاينة، بالإضافة إلى المناظرات العامة، كما تستثنى من ذلك حالات الطوارئ القصوى المتعلقة بالحفاظ على الحياة البشرية، كانتشار وباء أو حدوث كارثة طبيعية أو بيئية تستوجب التعاون الفلسطيني مع الاحتلال) (الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية للعدو، بتاريخ 2007/11/21م).

وفي بيان صادر عن مجلس رؤساء الكنائس الكاثوليكية في الأرض المقدسة، بتاريخ 23 مايو 2017م: التطبيع في المفهوم الجاري هو إقامة علاقات مع الكيان الصهيوني وأجهزته ومواطنيه كما لو أنّ الوضع الراهن كان وضعاً طبيعياً، ويعني بالتالي تجاهل حالة الحرب القائمة،

الفريق الإسلامي الكبير وتجريمه، وتطالب بنبذ وحصاره وحرمانه من حق المشاركة في مصير وطنه وبلاده، بالإضافة إلى تلوّث شرفه وسمعته، بل تخوينه، فجريمته أنه مسلم يؤمن بالإسلام عقيدة وهوية تستوعب التاريخ والجغرافيا والتراث، ولا تفرط في المقدسات وأرض فلسطين.

أليس من المنطقي التعايش مع الأشقاء قبل الغرباء، وتطبيع العلاقات مع الشعوب قبل الغزاة والمعتدين؟

انحطاط حضاري

إن التطبيع مع العدو يمثل علامة مؤكدة على الانحطاط الحضاري الذي وصلت إليه بعض القوى وهي تستسلم ببساطة وسهولة لإرادته العدوانية.

ومن الطريف أن مصطلح «التطبيع» ظهر لأول مرة لدى الصهاينة خاصاً بيهود المنفى؛ فقد عدّتهم الحركة الصهيونية شخصيات طفيلية شاذة، منغمسة في المجالات الفكرية، والغش التجاري، والأعمال المشينة مثل الربا، والدعارة، والقوادة.. ونحوها، وأرادت الصهيونية تطبيع اليهود ليكونوا مثل باقي الشعوب، وقد اختفى هذا المفهوم للمصطلح مع إنشاء الكيان الصهيوني بسبب حاجته لدعم يهود العالم له، وظهر ثانية مع «كامب ديفيد»!

والسؤال الآن: ما التطبيع؟ هناك تعريفات عديدة، منها: «التطبيع هو المشاركة في أي مشروع

الصورة المحسنة مقابل المسلمين الأجلاف الإرهابيين المتعصبين، الذين أرغموه على ترك وطنه في البلاد العربية والإسلامية، ونهبوا ممتلكاته وثرواته، فلم يجد مفرّاً من اللجوء إلى الكيان الصهيوني، وبالطبع لا تشير الروايات إلى الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي الذي يهضمه اليهود الغزاة، ولا إلى المذابح والجرائم التي اقترفوها في حق الشعب الفلسطيني وأبناء الأمة، ثم يتجاهلون أن هذا اليهودي ذهب في الحقيقة إلى الكيان الصهيوني بدافع عقيدته التي تفضّله على العالمين كما يزعم، وحمل السلاح وقاتل الذين احتضنوه وآووه وأطعموه مئات السنين واحتل أراضيهم، ولم يجد غضاضة حين أسر بعضهم في القتال أن يسومهم سوء العذاب ويقتلهم صبراً ويدفنهم أحياء في رمال سيناء (روح شاكيد مثلاً)!

ومن المفارقات أن الذين ينادون بالتعايش مع اليهود الغزاة لا يطالبون بالتعايش مع أشقائهم المسلمين في البلاد العربية والإسلامية.

إن من يتابع صحف بعض الأنظمة التي توجي بالتطبيع وتدعمه سراً أو علناً، أو تمارسه على أرض الواقع، يجد أنها لا تتسامح مع الفريق الأكبر من المسلمين في مجتمعاتهم؛ حيث يرى هذا الفريق أن الإسلام هو مستقبل المسلمين وعزهم ومجدهم وكرامتهم، وترى هذه الصحف، وما يسير على نهجها من إذاعات وقنوات وأجهزة ثقافية وتربوية وترفيهية، ضرورة شيطنة هذا

فالدعوى يضع شعاراً معروفاً ومرفوعاً في «الكنيسة» يتكلم عن الدولة الصهيونية من النيل إلى الفرات، وتشمل دمشق وبغداد والحرمين الشريفين وأم الدنيا، قبيل عام 1948م لم يكن هناك في العالم العربي من يصدق أن يقام كيان صهيوني يعترف به العالم، وقبل عام 1967م لم يكن هناك عربي يصدق أن تكون القدس وبقية فلسطين وسيناء والجولان والأغوار والمزارع في قبضة العدو، وقبل عام 1977م لم يكن أحد يصدق أن العدو سيهيمن سياسياً ودبلوماسياً واستخباراتياً على العرب جميعاً ويأمر وينهى، ويقرر من يحكم أو لا يحكم في بعض العواصم العربية، وقبل انتكاسة الثورات العربية (الربيع العربي) لم يكن من يصدق أن يصف قادة العدو بعض المسؤولين العرب بالكنوز الإستراتيجية والأصدقاء الطيبين، والقادم مجهول!

المقاومة الشاملة

على الأمة أن تقاوم العدو بالمعنى الكامل الشامل، وليس الاكتفاء بمقاومة التطبيع، وهذا يقتضي بعض الأمور، أبرزها:

أولاً: استعادة الوعي بطبيعة العدو وتاريخه، وخطواته التي بدأت في القرن التاسع عشر بتفكيك دولة الخلافة وتمزيق المسلمين، عن طريق التحالف مع الأرمن والغرب الاستعماري والقوى الحزبية السرية والعنيفة مثل الماسون والشيوعيين، واستغلال التسامح الإسلامي في تدبير المؤامرات وإسقاط من يعارضهم (السلطان

بينه وبين الدول العربية، هو شرط أساسي لتحقيق السلام في الشرق الأوسط، ولكن يوجد هنا خلل أساسي في المفهوم وفي المحاولة، فالتطبيع السياسي والاقتصادي يجب أن يتم بين بلدين طبيعيين، وهو الأمر الذي لا يتوفر في الكيان الصهيوني الغاصب، بسبب شذوذه البنيوي، حيث لا يزال تجمعاً استيطانياً، وليس دولة المواطنين الذين يعيشون داخل حدودها، فقانون العودة الصهيوني يعطي الحق ليهود العالم في الهجرة إلى فلسطين المحتلة، بوصفها وطن أجدادهم، بعد أن تركوها منذ ألفي عام، وينكر هذا الحق على الفلسطيني الذي اضطر لمغادرتها منذ بضعة أعوام، كما يتبدى الشذوذ البنيوي في علاقة الكيان الاحتلال الغاصب بالمنظمة الصهيونية وبالوكالة اليهودية، فهي علاقة شاذة ليس لها نظير في الدول الأخرى، والكيان الغاصب هو الوحيد في العالم الذي يتمتع بعضوية مشروطة في هيئة الأمم المتحدة، وشرط قبوله في المنظمة الدولية هو عودة اللاجئين الفلسطينيين، وهو الأمر الذي لا توجد أي مؤشرات على احتمال تنفيذه في المستقبل القريب.

هناك اتفاق في التعريفات السابقة وغيرها على المعنى العام للتطبيع، واستثناء الحالات الضرورية التي تتعلق بالحياة اليومية والظروف الطارئة المرتبطة بحياة الشعب الفلسطيني.

إن التطبيع المجاني مع العدو يمثل خطورة في الحاضر والمستقبل، تتجاوز الشعب الفلسطيني إلى الشعوب العربية الأخرى؛

والاحتلال والتمييز العنصري، أو هي محاولة للتعتيم على ذلك أو لتهميشه عن قصد.

في دولة فلسطين، بالرغم من وجود السلطة الفلسطينية، ما زال الفلسطينيون يعيشون حياتهم تحت احتلال عسكري، يشمل كل حياتهم اليومية: فهناك المستوطنات وبناء الطرق، وشرعنة الأبنية الصهيونية على أراض فلسطينية خاصة، والمداهمات المتكررة للبيوت، والاعتقالات، والاعتقالات التعسفية، والعقاب الجماعي، ومصادرة الأراضي، وهدم البيوت، والحواجز العسكرية التي تحد من حرية الحركة وتضع العديد من العقبات أمام النمو الاقتصادي، ومنع لم شمل العائلات، الذي هو امتحان لحق طبيعي لأعضاء العائلة في أن يتواجدوا معاً.

من جهة أخرى، فإن الحياة اليومية في الكيان الغاصب أو فلسطين تقتضي بعض العلاقات مع سلطات الاحتلال، ومع ذلك؛ فالمؤسسات والأشخاص الذين يقومون بهذه العلاقات يجب أن يظلوا واعين أن الوضع غير طبيعي ويحتاج إلى تصحيح، فلا يجعلوا الوضع غير الطبيعي وكأنه أصبح أمراً طبيعياً.

وهناك من يختصر تعريف «التطبيع السياسي والاقتصادي» بإعادة صياغة العلاقة بين بلدين بحيث تصبح علاقات طبيعية (خالد أبو شرخ، مخاطر التطبيع، الحوار المتمددين، العدد (3526)، 25/10/2021م).

ويشرح صاحب التعريف مفهوم العدو للعلاقات الطبيعية في واقعه الراهن؛ حيث يصر على أن التطبيع السياسي والاقتصادي

أليس من المنطقي التعايش

مع الأشقاء قبل الغرباء وتطبيع

العلاقات مع الشعوب قبل

الغزاة؟

التطبيع السياسي والاقتصادي

يجب أن يتم بين بلدين

طبيين وهو ما لا يتوفر

بالكيان الصهيوني





«التطبيع».. وخلل تعريف العدو

فيما يواجه العالم أزمة وباء «كورونا»، يواجه الفلسطينيون بالإضافة إليها أزمات كثيرة مزمنة تتعلق بسياسات الاحتلال، منها الحصار والإغلاق المستمر منذ عدة سنوات، والاستيطان، وخطط الضم التي وعدت بها «صفقة القرن»، وفي مواجهة كل هذا، وبينما يحتاجون إلى الدعم الدولي والإقليمي وخاصة من حاضنتهم العربية تحديداً، ظهرت بعض المؤشرات العكسية التي تشير إلى تقدم في مسار «التنازل عن دعم حقوق الشعب الفلسطيني ودعم الاحتلال الصهيوني»، الذي يشار إليه بـ«تطبيع» العلاقات مع عدد من الدول العربية وفي كافة المجالات؛ من المؤتمرات الاقتصادية إلى الكتابات الصحفية إلى الدراما التلفزيونية.. وغيرها.

مكونات الأمة والمنطقة، ولهذا فإن التعامل مع الاحتلال بشكل طبيعي يعني تجاهل حقوق معاناة الشعب الفلسطيني. وفي الحقيقة، كان هناك انفتاح لدى بعض الدول العربية -من منظور التودد للولايات المتحدة كدولة مهيمنة على النظام الدولي- منذ أكثر من عقد من الزمان، على تطبيع العلاقات مع الاحتلال

محمود سمير الرنتيسي

برغم أننا هنا نستخدم كلمة «تطبيع»، فإن الحقيقة التي يجب أن نتوقف عندها هي أن هذه الكلمة مضللة، فالاحتلال الصهيوني لم يكن ولن يكون دولة طبيعية؛ وبالتالي لن تكون العلاقة معه طبيعية، فهو كيان قام على اغتصاب أراضي الشعب الفلسطيني وحقوقه الذي يعتبر مكوناً من

عبد الحميد)، وتجنيد العملاء، وزرع الفتن في كل مكان تصل إليه أقدامهم وأيديهم ونفوذهم.

ثانياً: يجب البدء في التخطيط طويل النفس في شتى المجالات وخاصة «جمع المعلومات»، وتحييد القوى المناصرة للعدو في الغرب، وبعث المقاطعة الشاملة من جديد، والنهوض بالتعليم والتصنيع والزراعة والاكتفاء الذاتي في الغذاء والدواء والسلاح.

ثالثاً: الإيمان بأن المواجهة الشاملة قادمة، وسوف يفرضها العدو الذي يلتقط أنفاسه كلما آتحنأ له أن يكون احتلاله آمناً مطمئناً، بيد أن المواجهة السياسية والدبلوماسية والاقتصادية والثقافية قائمة بالفعل ويجب خوض معاركها بقوة وإقتدار، ولدينا العقول وكثير من الإمكانيات التي تحقق ذلك.

رابعاً: ينبغي أن نستدعي دائماً الشخصية المسرحية الشهيرة «شابلوك»، عند التفاوض الرسمي مع العدو، فلا يأخذ شيئاً دون مقابل، تصور لو أن اللقاءات التي تتم بين عرب وصهاينة رسميين أو غير رسميين، واشترط الجانب العربي مقابل لها مثل إطلاق سراح بعض الأسرى الفلسطينيين، إزالة الحواجز الأمنية، رفع الحصار عن غزة.. وللأسف ستجد من يخبرك أن الطرف العربي هو الذي يستجدي لقاء العدو!

خامساً: أن الأوان ليساريين وأشباههم ألا يشغلونا بمصطلحات وأفكار لا تخدم إلا العدو، مثل الفرق بين اليهودية والصهيونية، والحرب الدينية، وضحايا النازية، وغير ذلك من ثرثرة غير مجدية، لا تمنع القصف الذي يقوم به العدو عبر طائراته وصواريخه ودباباته، ولا تفك حصاره عن الفلسطينيين، أو تصفيتهم في كل مكان أو تهويده للمقدسات والاستيلاء على بيوت القدس وهدم منازل أهلها بججج واهية.

سادساً: رفض الأمر الواقع والعمل على تغييره، بكل الوسائل؛ فالذين يتعللون بالأمر الواقع لا يريدون العمل، ومثلهم الذين يقولون: إن الكيان الصهيوني بلد صغير، لا يمكن أن يشكل خطراً ثقافياً أو اقتصادياً على العالم العربي، فهذا كلام غير صحيح؛ لأن إنجلترا في القرن الماضي، وهي الجزيرة الصغيرة، حكمت إمبراطورية لا تغيب عنها الشمس! المقاومة هي المنفذ من الاحتلال. ■

سواء بالمواجهة مع إيران، أو ضد الحركات والجماعات السياسية الإسلامية، أو حتى إجهاض أي محاولة استقلالية لأي من دول المنطقة.

يدرك كل عاقل أن كيان الاحتلال عقد الكثير من التفاهات السرية مع بعض دول المنطقة، ومع ذلك فهو يحاول جاهداً تصوير بعض التهديدات على أنها تهديدات مشتركة مع بعض الدول، ولكن حتى هذه العملية لا تبرر التنازل العربي الرسمي العلني عن حقوق الشعب الفلسطيني، وتبقى هناك صعوبة أمام الزعامات نحو هذا التوجه أمام شعوبها؛ ولذلك رأينا كثافة في رسائل التطبيع التي تقوم على إظهار الاحتلال على أنه صديق، أو أن العلاقة معه تمثل مصلحة، ولكن هذا لم يكف؛ لأن روابط الأخوة بين الشعب الفلسطيني والشعوب العربية قوية، فعمدوا إلى تشويه صورة الفلسطيني في صورة المواطن العربي بتصوير العلاقة معه على أنه عبء، وبالاكتفاء على افتراءات من قبيل أن الفلسطيني باع أرضه.

لا بد أن يدرك الجميع أن الاحتلال الصهيوني لا يبحث عن مصالح دول المنطقة بقدر ما يبحث عن تأمين موطئ قدم له في كل دول المنطقة؛ لضمان بقاء هذه الدول في حالة فوضى واقتتال وعدم استقرار حتى يضمن التحكم في مصيرها ومستقبلها، ولا بد ألا يُسمح لممارساته في الوصول إلى ذلك بالنجاح، وهذا يتطلب تضامناً عربياً شعبياً ورسمياً لمواجهة هذه الخطوات، وإعادة حسابات من الدول التي انخرطت في هذه العملية.

وفي هذا السياق، ومع كل خطر مشروع «التطبيع»، ما زالت هناك قوى وزعامات حية ويقظة تدرك خطورة الكيان الصهيوني، وتؤمن بحقوق الشعب الفلسطيني الشقيق الذي يعتبر دفاعه عن المسجد الأقصى وتراب فلسطين جزءاً من دفاعه عن الأمة العربية والإسلامية، وقديماً قالت العرب: «من يصنع المعروف في غير أهله يلاق الذي لاقي مجير أم عامر»، وها هو الاحتلال الغاصب يحاول ابتزاز واستدراج العديد من الدول العربية ليفتك بها وبمصالحها وبمستقبلها؛ فلا بد من الحذر ومعرفة حقيقة العدو. ■

مصطلح «التطبيع» مضلل لأن الكيان الصهيوني ليس دولة طبيعية

**كان هناك انفتاح لدى
البعض بتطبيع العلاقات
بشرط إيجاد حل للقضية
الفلسطينية لكن الاحتلال
قلب المعادلة**

عبر إيجاد «لوبيات» وشبكات مصالح تجعل القرار العربي مرتعناً لها في حال تم إعطاؤها الفرصة للتعمق في هذا المسار. لقد كانت أغلب دول المنطقة قبل «الربيع العربي» منقسمة، وقد استغل الاحتلال الصهيوني الفوضى التي حصلت بعد ذلك وتفكك عدد من الدول لقيادة محور إقليمي، ولكنه يدرك أن شعوب المنطقة وبعض قياداتها لا تزال تتعامل معه على أنه عدو، ولذلك قرر تنويع أعمال «التطبيع» من التطبيع السياسي إلى الأمني إلى الثقافي إلى الأكاديمي إلى الرياضي؛ من أجل تهيئة البيئة الإقليمية العربية لتحقيق الأهداف «الإسرائيلية»؛

التوجه لإقامة علاقة مع الاحتلال انحراف إستراتيجي مبني على خلل في تعريف العدو

**الاحتلال لا يبحث عن مصالح
دول المنطقة بقدر تأمين
موطئ قدم له فيها**

الصهيوني، ولكن بشرط إيجاد حل للقضية الفلسطينية وفق رؤية «حل الدولتين»، ولكن الاحتلال قلب المعادلة؛ حيث جعل تطبيع العلاقات مقديماً على إيجاد حل، ومع الوقت نسف فكرة حل الدولتين من خلال إقرار القدس عاصمة غير مقسمة لدولة الاحتلال، ومحاولة ضم 30% من أراضي الضفة الغربية.

مع أن مكانة الولايات المتحدة ودورها قد تراجعاً، فلأسف بقيت مسيرة «التطبيع» مستمرة وفي تزايد، ولم تقتصر على تعجيد العلاقة مع الاحتلال، بل شملت في بعض الأحيان تشويه الفلسطيني، والأكثر من ذلك أن هذه الحركة «التطبيعية» تتخذ شكل الهرولة أحياناً، وتترافق مع تخبط واضح في سياسات الدول أو الأشخاص الذين يهرولون نحو هذه العلاقة، وفي أوقات انقسام الداخل «الإسرائيلي» وعدم قدرته على تشكيل حكومة، حتى بات رئيس وزراء الاحتلال يتخذ من موضوع «التطبيع» إنجازاً ورافعة له في حملته الانتخابية!

بالرغم من كل المحاولات «الإسرائيلية» السابقة لتكريس العلاقات مع الدول العربية، فإن العلاقة بقيت في أطر محددة، وبقي كيان الاحتلال في نظر الشعوب والمجتمعات العربية عدواً إستراتيجياً، وتهدف هذه الموجة من التطبيع التي ذكرنا إلى أنها تطلّال مختلف القطاعات، وتحاول التأثير في الوعي إلى فتح اختراقات أكبر في وعي وثقافة الشعوب، وهذا يتوجب إحداث آلية مقاومة لهذه الاستهدافات الخطيرة التي لا تشكل خطراً على الشعب الفلسطيني، بل على الدول العربية جميعها.

انحراف إستراتيجي

إن التوجه لإقامة العلاقة مع كيان الاحتلال الصهيوني من قبل أي جهة عربية مسلمة، بغض النظر عن كونه انحرافاً أخلاقياً وحقوقياً واضحاً، فهو انحراف إستراتيجي مبني على خلل في تعريف العدو، وعلى خلل في معرفة الأهداف من وجود الكيان الاحتلال في المنطقة العربية ابتداءً، ثم سعيه للقيادة الإقليمية والتحكم في الدول التي تسعى للتطبيع معه لاحقاً،



«التطبيع» واستهداف ثوابت الأمة

يوسف أحمد

هناك محاولات للتسلل لعقول شباب الأمة بمسلسلات درامية مؤثرة تستهدف إزاحة قيم إسلامية لصالح قيم أخرى فاسدة

التطبيع يتحول بعضهم من تأييد للكيان الغاصب إلى انقضا على الإسلام ومقدساته وعلى فلسطين ومرابطيها، فلا يرون حرجاً في قيام مستوطنين باقتحام الأقصى للصلاة فيه بحجة التسامح، وبالمقابل يهاجمون المقاومة الفلسطينية ويعتبرونها إرهاباً، وبعضهم لا يرى مشكلة في تهنة الصهاينة في أعيادهم ومناسباتهم بدعوى أنهم «أهل كتاب».

أيضاً تجري -بالتوازي- عمليات دعم غربية وصهيونية لحكام عرب لا يرون مشكلة في التطبيع مع العدو الصهيوني، ويعادون المقاومة، ويسعون لدعم عمليات تبديل القيم في بلادهم وطمس الهوية الإسلامية وضرب أي معارض لهذا سواء كانت قوى وطنية أم إسلامية، ووصمها بالإرهاب؛ لأن هذا يضمن لهم البقاء في الكرسي.

صناعة الجهل

ويجب ألا ننسى ونحن في خضم المعركة بين المقاومة والتطبيع أن هناك صناعة تسمى «الجهل» يجري استخدامها بكثافة في العالم العربي والإسلامي من أجل تمرير هذا التطبيع عبر نشر حقائق زائفة.

فهو علم متخصص تشرف عليه مؤسسات تديرها دول عظمى لتعميق وترسيخ هذا الجهل في المجتمعات الإسلامية خصوصاً، وهو ما يفسر كثيراً من مظاهر التخلف الفكري الذي يجري استغلاله لترسيخ قيم التطبيع محل قيم المقاومة، وخلق أعداء من الداخل للإلهاء عن أعداء الخارج، أو التمهيد للتصالح مع العدو الخارجي. ■

ويعبدون الله بالطقوس اليهودية؛ ينأى عن معاداة اليهود التي تبناها إسلاميون، وينقي التراث الديني الحافل بالعداء لليهود! هنا يجب الانتباه إلى أن مسلسل «أم هارون» جزء من «صفقة القرن»؛ لأنه يأتي ضمن محاولات كسر الحواجز من أجل التطبيع، والترويج له بقوة.

فالهدف هو التطبيع الثقافي مع الاحتلال والدعوة له، عبر جهات عربية؛ لتشويه الوعي، والسعي لتبرير التطبيع مع المحتل، ومن ثم تبرير السياسات التي تتخذها بعض الحكومات العربية أو الإسلامية بالتطبيع مع الاحتلال.

هدم المقاومة

مقابل هذا السعي لضرب قيم المجتمعات الإسلامية لفرض التطبيع مع الباطل والاحتلال، تجري محاولات حثيثة لضرب المقاومة ضد هذا التطبيع المفروض والقضاء عليها، سواء عبر استهداف المقاومة الفلسطينية المسلحة أو الشعبية (الانتفاضات).

ففي الخطاب المتصهين التطبيعي الجديد الذي يتبناه بعض المثقفين والنشطاء المتغربين العرب، يُشار إلى مقاومة الظلم في فلسطين بـ «الإرهاب»، بينما تبقى الصهيونية بعيدة عن هذا الربط، ويشيع في الخطاب السياسي والصحفي العربي التحذير من عواقب الفشل في الوصول إلى تسوية بالقول: إن ذلك سيفجّر الإرهاب (الذي يقصدون به العربي طبعاً).

الأكثر خطورة أن من ينزعون لتأييد

ثوابت الأمة الإسلامية من القيم والأخلاق هي الذخيرة التي استندت إليها الأجيال المسلمة المختلفة، وهي أيضاً الهدف الذي سعت لضربه كافة القوى الاستعمارية لإضعاف الأمة، عبر ضرب المؤسسات الدينية مثل الأزهر وغيره تارة، والسعي لتغيير المناهج تارة أخرى، أو رفع شعارات خبيثة تدعو إلى «تجديد الدين» أو ما يسمى «تطوير الخطاب الديني».

الجديد مع انتشار الدراما وتأثيرها القوي هو محاولة أعداء الأمة التسلل إلى عقول شباب الأمة بمسلسلات درامية مؤثرة تستهدف إزاحة قيم إسلامية لصالح قيم أخرى فاسدة، بحيث تبدو أمور مثل مصاحبة الفتيات و«السينجل مازر» (الأم العزباء المستقلة) التي تقيم علاقات بلا رابط شرعي، والتعاطف مع يهود «إسرائيل»، وغيره، أموراً عادية.

هذا التغيير الذي يستهدف القيم بإحلال أخرى غربية وصهيونية بدلاً منها، ما هو إلا المعول الأساسي الساعي إلى ترسيخ قواعد التطبيع في المجتمع المسلم، سواء التطبيع مع الباطل أو التطبيع مع الحرام، أو التطبيع مع السلوكيات الفاسدة، وآخرها التطبيع مع العدو الصهيوني الذي تعاضم مؤخراً في صورة مسلسلين خليجيين يروجان للتطبيع.

فقد كتبت فضائية خليجية شهيرة، وصحيفة أخرى خليجية، مثلاً عن مسلسل «أم هارون» أنه «يجسد الأخوة الإنسانية؛ يصحح صورة اليهود من خلال إظهار خليجيين يلبسون زي اليهود، ويتحدثون العبرية



حرث العقل العربي لصالح الكيان الصهيوني

مصر و«إسرائيل» بموجب هذه الاتفاقية، وفتحت هذه المعاهدة باباً واسعاً (بحجم مصر) للدخول منه إلى العقل العربي وخطوطه الجغرافية والثقافية.

ظل العرب (أنظمة وشعوباً) في حالة رفض تام لهذه الاتفاقية، وظلوا رافضين لعقد أي اتفاقات مع الكيان الصهيوني، بل والقطيعة العربية المصرية، حتى عام 1993م (أي بعد ما يقرب من 17 عاماً)، ثم انتقلت الاتفاقات السياسية نقلة نوعية خطيرة، تمثلت في اتفاقية «أوسلو»، وهو أول اتفاق وقعه الفلسطينيون بقيادة الرئيس الراحل ياسر عرفات و«الإسرائيليين» بقيادة رئيس وزرائهم «إسحاق رابين»، في سبتمبر 1993م، بواشنطن، ثم دخل الطرفان (الفلسطيني والصهيوني) في عدة اتفاقات، منها: اتفاق غزة- أريحا عام 1994م، الذي نتج عنه إجلاء هذا الكيان من غزة بعد شعوره بخطورة المقاومة على وجوده، ثم كان اتفاق طابا عام 1995م (امتداداً لاتفاق أوسلو)، الذي قسم مناطق للسلطة الفلسطينية الجديدة في مناطق الحكم الذاتي (المحدود)، وكان وجود السلطة الفلسطينية الناتجة عن اتفاق أوسلو. ثم كانت اتفاقية نوعية أخرى شبيهة باتفاقية «كامب ديفيد» المصرية، ويمكن وصفها عربياً بكامب ديفيد الثانية، وهي اتفاقية «وادي عربة» عام 1994م بين الأردن

الحقيقة أن الهرولة نحو التطبيع مع الكيان الصهيوني لم تأت دفعة واحدة، ولا حتى بصورة مفاجئة، وإنما كانت نتيجة لخطط ممنهجة ربما لا نستطيع الحصول على وثائقها، إلا أنه يمكن بكل بساطة استقراء نتائجها وتطوراتها ومساراتها.

وهذا ما سوف نشير إلى جانب منه في هذه المساحة الفكرية؛ فهذه الخطط الممنهجة كان غرضها الأساس والإستراتيجي (البعيد) -الذي وصلنا إلى جانب عظيم منه وخطير كذلك- هو تهية العقل العربي -باعتبار الاختراق العقلي يعقبه اختراق وجداني وقيمي كذلك- إلى قبول الكيان الصهيوني كمنصر طبيعي في الجسد العربي والإسلامي.

باكورة الاتفاقات السياسية وتطورها:

من المسارات الباكورة في تطبيع العقل العربي كان مسار الاتفاقات السياسية، التي هدفت كما في إعلانها إلى إلغاء فكرة «الحرب» من الذهن العربي، وإحلال مفهوم «السلام» القائم على الاعتراف باغتصاب الحقوق العربية والفلسطينية، وكانت باكورة هذه الاتفاقات معاهدة السلام المصرية الصهيونية، في 26 مارس 1979م، وتعتبر هذه أول مداخل التطبيع السياسي مع الكيان الصهيوني، التي أعلن فيها نهاية الحرب بين

شهد عام 2020م وثلث العام الذي قبله هرولة عربية نحو التقارب العربي الصهيوني، لم يشهدا العالم العربي منذ تأسيس هذا الكيان في جسد العالم الإسلامي، والاعتراف به عام 1948م، ومن معالم هذه الهرولة العربية تواجد الكيان الصهيوني في معارض تجارية مع دول عربية، ثم التبادل الدبلوماسي إلى حد حضور ثلاثة من سفراء عرب في مباركة لإعلان «صفقة القرن» في واشنطن، وغير ذلك من مظاهر الإعلان -في تغريدات لبعض المثقفين والأذرع الإعلامية لبعض الأنظمة العربية- على تأكيد التعايش مع الكيان الصهيوني باعتبار ذلك أمراً لا غضاضة فيه ثقافياً واجتماعياً.

المبادرات التربوية والتعليمية
الصادرة عن الأمم المتحدة
تعد من مسارات حرث العقل
العربي لصالح الصهيونية

النظام العالمي لجأ إلى محاولة
إزاحة فكرة «المقاومة» عن
طريق طرح مفهوم «الإرهاب»
مرادفاً لها

المدخل الاقتصادي أحد أهم
المداخل للتطبيع مع الأنظمة
العربية الذي يمارس فيه
الاحتلال طريقه للتسلل



مبادرة «التعليم من أجل السلام» تتجه في العالم العربي نحو تأكيد التطبيع مع الكيان الصهيوني وإزاحة فكرة «المقاومة»

الثقافات، والتفاهم والمصالحة بين اليهود والفلسطينيين⁽⁵⁾. يتناقض هذا الطرح الذي تقدمه مبادرة التربية من أجل السلام مع طرحها القيمي الذي يؤكد دائماً قيم العدل والإنصاف والحقوق باعتبارها قيماً أساسية لتحقيق تربية السلام، والعدل والإنصاف يقتضيان رد الحقوق، وليس التصالح أو التفاوض عليها، فهذا مما يخالف القوانين الدولية والأعراف الإنسانية والتجارب التاريخية للبشرية.

إزاحة مفهوم المقاومة.. والإرهاب مرادفاً:

ظلت المحاولات الحثيثة من أجل تجريف العقل العربي من فكرة المقاومة وما تحمله من قيم الحرية والاستقلال، وطرده المستعمر الغاصب لفلسطين المحتلة، بينما ظلت المقاومة في الواقع العملي ترسخ ذلك المفهوم، رغم إمكاناتها الأقل من حيث العدد؛ وهو ما جعل فكرة المقاومة مستمرة في نفوس الأجيال العربية، وهنا لجأ النظام العالمي إلى محاولة إزاحة فكرة المقاومة عن طريق طرح مفهوم «الإرهاب» مرادفاً لها، وأصبحت عمليات المقاومة ضد المستعمر الصهيوني توصف من قبله بالإرهابية، ليس ذلك فقط، بل تعاضد كثير من أنظمة الحكم العربية في التآطير لهذا الاستبدال، وتلك الإزاحة، وأعلنوا في

التعليم، وتقوم تلك الطريقة على إعادة تصميم تلك الكتب والمقررات لتكون ضمن أدوات تعليمية لتحقيق التفاهم الدولي؛ وذلك لأن الكتب المدرسية «تنقل فهماً عالمياً لتاريخ مجتمع ما، ولقواعده وعاداته المتعلقة بالعيش مع الآخرين»⁽²⁾.

ويركز هذا المجال على الكتب المدرسية في مجالات التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية؛ لأن هذه الكتب تشكل تصورات النظر إلى الذات وإلى الآخر، وتحدد قواعد التعامل الدولي بين الثقافات وبين المجتمعات المتعددة والمختلفة جغرافياً وتاريخياً وثقافياً.

من أهم النتائج التي خلص إليها مشروع «مراجعة الكتب المدرسية» -وهو المشروع الأبرز في المبادرة الأوروبية/ العربية- تزايد أوجه التقارب في مضامين الكتب المدرسية، ومع ذلك ما زالت الأفكار النمطية وطبيعتها الازدواجية لا سيما ما يتعلق بفترات الاستعمار والتاريخ الحديث والمعاصر.

إلا أنه يمكن التوقف عند النتيجة المتعلقة بمكانة «الدين»؛ حيث أظهرت نتائج التقرير الخاص بهذه المراجعة للكتب الدراسية في أوروبا والعالم العربي، أن «الدين يظهر في المجتمعات العربية الإسلامية وكأنه عقبة أمام تطبيق الديمقراطية، واعتماد المساواة بين الرجل والمرأة، واحترام حقوق الأقليات الدينية، وحرية الإبداع الفني أو الابتكار العلمي»، حتى يصل التقرير إلى خلاصة مفادها -بشأن نتائج الفكرة الدينية في المجتمعات العربية- «... فتبدو المجتمعات العربية الإسلامية ضمناً في صورة مجتمعات متجانسة تتسم بالجمود ولا تشجع حدوث تطورات مجتمعية»⁽³⁾.

والواقع أن مبادرة «التعليم من أجل السلام» تتجه في العالم العربي نحو تأكيد التطبيع مع الكيان الصهيوني، وتعمل في هذا الصدد على إزاحة فكرة «المقاومة» التي تصفها بـ «العنف»، ومن ثم يخلو قاموسها التربوي من فكرة استرداد الحقوق العربية التي اغتصبها الكيان الصهيوني، وتطرح بدلاً منها قيم: التفاوض، والصالح، والوساطة.. وهي كلها تزامم بما لا شك فيه فكرة المقاومة⁽⁴⁾.

وتعتبر هذه المبادرة -في مسار التطبيع الذي يعارضه العقل الجمعي العربي- أنه «من الضروري تحقيق التفاهم والاحترام المتبادل بين «الإسرائيليين» والفلسطينيين، وأن هناك حاجة للتعليم من أجل الاحترام المتبادل بين



معاهدة السلام المصرية تعد أول مداخل التطبيع السياسي مع الكيان الصهيوني التي أعلن فيها نهاية الحرب بين الطرفين

والكيان الصهيوني، وهي اتفاقية ذات جوانب متعددة سياسية ودبلوماسية واقتصادية وجغرافية، وكان أخطر بنودها ما تتضمن تطبيقاً كاملاً، يشمل على سبيل المثال: «فتح سفارة إسرائيلية وأردنية في البلدين، إعطاء تأشيرات زيارة للسياح، فتح خطوط جوية، عدم استخدام دعاية عدائية في حق الدولة الأخرى».

التربية من أجل السلام لصالح الكيان الصهيوني:

من مسارات حرث العقل العربي لصالح الصهيونية المبادرات التربوية والتعليمية الصادرة عن الأمم المتحدة واليونسكو، ومن هذه المبادرات مبادرة «التربية من أجل السلام» التي هدفت في نسخها الوثائقية الدولية إلى تغيير المفاهيم والقيم التي تؤسس للعنف والصراع والنزاع من خلال نظام التربية والتعلم، والإسهام في بناء مفاهيم وقيم مقابلة لهذه المفاهيم والقيم المؤسسة لحالات العنف والصراع والنزاع، وهذا ما جاء في الميثاق التأسيسي لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم من خلال النص التالي الذي يلخص المبنى الأساس لفلسفة هذه المبادرة، وهو: «لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر، ففني عقولهم يجب أن تبني حصون السلام»⁽¹⁾.

وفي ضوء ذلك، يعد مجال تحليل ومراجعة الكتب المدرسية واحداً من أهم مجالات عمل مبادرة «التربية من أجل السلام» في ميدان



من مظاهر الرفض الشعبي للتطبيع اقتحام سفارة الاحتلال بمصر في سبتمبر 2011م

إنما في كثير منها يرجع إلى وجود هذا الكيان الصهيوني الذي ارتبطت به الأنظمة المستبدة الجاثمة على الشعوب العربية، ومن مظاهر هذا الرفض اقتحام السفارة «الإسرائيلية» في مصر والعبث بمحتوياتها في سبتمبر 2011م. لذلك ساند الكيان الصهيوني الأنظمة العربية في ثوراتها المضادة للشعوب ولرغبتها في الحرية.

إن الأمل ما يزال منعقداً على «عقل التدافع» لكل محاولات الحرث والتهيئة للغرس الصهيوني، التي لم تتجح حتى الآن، في قطف أي ثمار على المستوى الشعبي. ■

الهوامش

- (1) انظر: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: إعادة التشجير في التربية والتعليم نحو صالح مشترك عالمي.
- (2) انظر: دليل اليونسكو للبحوث المتعلقة بالكتب المدرسية، 2016 منظمة الأمم المتحدة.
- (3) المرجع السابق، ص 27.
- (4) ومن الأنشطة التي قامت بها في هذا الصدد: لقاء ترقية مبادرة التعليم 2005 عمّان/ الأردن، سيمار التربويين العرب (بذور السلام)، واشنطن 2005، المؤتمر الدولي عن التربية المدنية عمّان/ الأردن، مشروع تدريب المواطنة لبنان مارس 2004، برامج التربية المدنية العربية (تنفيذ مشروع المواطنة بين مصر، الأردن، والضفة الغربية 2004)، مشروع تدريب المواطنة- القاهرة 2004، وغيرها من البرامج التي استهدفت دول الجوار للكيان الصهيوني.
- (5) سوى هين توه: «بناء السلام والتعليم من أجل السلام خبرات محلية وتأملات عالمية»، ترجمة أحمد عطية، مجلة مستقبلات، عدد (121)، مرجع سابق، ص 115.
- (6) قدس برس 2017/6/13.
- (7) انظر: <https://www.marefa.org> العلاقات التجارية الإسرائيلية العربية.

عام للتجارة يسمح بإقامة أنواع العلاقات التجارية كافة مع العراق، وصرح «جون تيلور»، مساعد وزير المالية الأمريكي، لصحيفة «يديعوت أحرونوت»، في يونيو 2003م، بقوله: «إن العراق مفتوح أمام الشركات «الإسرائيلية»، وأنا أدعوها للمشاركة في إعادة الإعمار»، ولعل ذلك يفسر التواجد «الإسرائيلي» أين يوجد عسكري أمريكي، وهذا يعني أيضاً حجم الشراكة بين «إسرائيل» وأمريكا في احتلال العراق⁽⁷⁾.

وبالنسبة إلى الأردن ومصر، فكان شكل التواصل «الإسرائيلي» عبر اتفاقية «الكوز»، التي طرحتها الولايات المتحدة كمقدمة لدخول «إسرائيل» في مختلف الاتفاقات الاقتصادية التي تبرمها الولايات المتحدة مع الدول العربية، وتأخذ الصادرات «الإسرائيلية» للدول العربية ثلاثة أشكال: أولها المعدات الزراعية، مثل معدات الري ولقاحات التطعيم الحيوانية، والمعلومات التكنولوجية ومكوناتها، بالإضافة إلى البذور الزراعية المعالجة وراثياً.

مواجهة حركات التغيير (الثورات المضادة):

عندما وقعت أحداث «الربيع العربي» (وحقيقتها الهبات الداخلية على الأنظمة المستبدة التي تقيم كل هذه العلائق مع الكيان الصهيوني)، رفعت الجماهير العربية شعاراتها ضد الكيان الصهيوني، وتأييداً لتحرير فلسطين وحققها في الاستقلال الكامل، كما أرسلت الشعوب العربية رسائل متعددة إلى الكيان الصهيوني تفيد غضبها ورفضها التام لوجوده في العالم العربي، ووعياً بأن الحالة العربية المتردية لمجتمعنا العربية

أكبر المنابر الدولية أحقية الكيان الصهيوني في الدفاع عن نفسه، وتبنت أجهزة أنظمة إعلامية عربية عديدة وصف حركات المقاومة للكيان الصهيوني بالإرهاب، ما حدا بالمؤتمر الشعبي لفلسطيني الخارج إلى التديد في بيانات متعددة بتلك الممارسات، ووصفها بأنها «تتضمن إساءة بالغة إلى مقاومة الشعب الفلسطيني والنيل منها حينما تصف مقاومته بالإرهاب»⁽⁶⁾.

وإرضاء للكيان الصهيوني، أسس عدد من الأنظمة السياسية العربية مراكز كبرى ادعت أنها مقاومة للإرهاب والتطرف، وهي تستهدف -بما لا يدع مجالاً للشك- أفكار المقاومة، مقاومة المحتل الصهيوني، واقعاً، وفكرة في العقل العربي.

التسلل الاقتصادي:

أحد أهم المداخل للتطبيع الصهيوني مع الأنظمة العربية هو المدخل الاقتصادي، الذي يمارس فيه الكيان الصهيوني طريقة التسلل، أو بمعنى أدق كانت تلك البداية؛ لأن المستهلك العربي في عمومها يرفض الاسم «الإسرائيلي» جملة وتفصيلاً في أي شكل من أشكال التواصل، لذلك لجأ الكيان الصهيوني إما إلى اتفاقات سرية مع بعض الأنظمة العربية، أو بدعوة الأنظمة العربية إلى فتح مكاتب تجارية فيه بلادها، أو جاءت متسللة عبر الوسيط الأمريكي.

ففي عام 1992م افتتحت تونس ممثلة تجارية لها في القدس المحتلة، وفي عام 1995م استوردت منتجات «إسرائيلية» بنحو 46 مليون دولار، ولدولة الاحتلال ممثلة تجارية في سلطنة عُمان، تصدر إليها منتجات المطاط، والبلاستيك، والمنتجات الورقية، والمعدات الميكانيكية، والمنتجات الكيماوية، كما يوجد في المغرب مكتب اتصال افتتح عام 1994م، فيما تأتي واردات الكيان الصهيوني إلى المغرب عبر جزيرتي سبتة ومليلية المحتلتين من قبل إسبانيا، بعد توقيع الاتحاد الأوروبي اتفاق التجارة الحرة مع «إسرائيل» عام 1995م، الذي يتضمن مادة خاصة بالجزيرتين.

كما يذكر أن الكيان الصهيوني وقع مع العراق اتفاقاً، في 21 يوليو 2003م، بترخيص

أمين عام المبادرة الوطنية الفلسطينية د. مصطفى البرغوثي لـ «المجتمع»: «التطبيع» خيانة للقضية الفلسطينية ولا يجوز استغلال «البعبع» الإيراني لتمريره

«الإسرائيليين»، وبقي الاحتلال منبوءاً وغير مقبول من قبل الشعوب.

وشدد البرغوثي قائلاً: نحن نعلم أن الموقف الرسمي العربي ضد التطبيع، ولكن هناك علاقات تحت الطاولة، وظهر هذا في زيارات ميدانية لقادة الاحتلال لبعض الدول العربية، والإشادة بهذه الزيارات من قبل الأحزاب المتطرفة في حكومة وكنيست الاحتلال.

وعن دولة الكويت وموقفها، قال: إن دولة الكويت انفردت؛ أميراً وحكومة وشعباً، عن الدول العربية في موقف متميز وطني وأخلاقي ومتقدم في مقاطعة الاحتلال، بل كان لها من خلال الشجاع مرزوق الغانم، رئيس مجلس الأمة الكويتي، قدوة رائدة في قضية التطبيع وتوجيه صفة قوية للاحتلال أستطيع وصفها بالصفة التي أعادت للموقف العربي والإسلامي هيئته، حتى إن الاحتلال جُن جنونه من هذا الموقف، واعتبر الغانم من ألد أعدائه.

وأردف قائلاً: المطلوب في هذه المرحلة تقوية صف المقاطعة فلسطينياً وعربياً وإسلامياً ودولياً؛ فهذا يزيد من المناعة الوطنية، ويجعل الكيان الصهيوني دولة دخيلة في المنطقة ومقومات وجودها معدومة.

وعن قضية إفشال التطبيع قال البرغوثي: يمكن إفشال التطبيع من خلال حشد الطاقات من كافة القوى الداخلية والإقليمية والعالمية، وعدم الرضوخ لـ «البعبع» الإيراني الذي يحاول فيه الاحتلال زيادة التطبيع من خلال إحضاره للمشهد، فهذه دعاية رخيصة لتخويف العرب وإجبارهم بطريقة خبيثة لقبوله؛ بسبب خطر خارجي وهو الخطر الإيراني، والشعوب جاهزة لعدم التطبيع، وتبقى الحكومات التي ما زالت تمارس التطبيع سرا ومنها علناً.

وطالب البرغوثي بضرورة وجود إعلام هادف يقوم بدور التوعية وتحسين الشعوب من تطبيع قادم مع كيان عنصري يقتل الفلسطيني بيد، ويمد اليد الأخرى على أنها يد سلام. ■



موقف الكويت أميراً وحكومة وشعباً من التطبيع أخلاقي ومتفرد عن باقي الدول العربية

شامخاً أمام هذه التحديات دون رفع الراية البيضاء، ولكن أن تأتي الطعنة من أبناء الجلدة في محاولات تطبيع تلمع صورة الاحتلال، وتظهر الفلسطيني وكأنه هو القاتل، وتظهر الجلال والمغتصب والقاتل هو الضحية والحمل الوديع؛ فالسلسل الأخير الذي تم بثه اعتبر الفلسطيني هو المحتل، والصهيوني هو الضحية، ويجب إنصافه وإقامة دولته على أرض فلسطين التي تم تسميتها زوراً وبهتاناً «إسرائيل»!

وأكد البرغوثي أن محاولات التطبيع من بعض الموتورين لن تخرج حالة الإجماع عند الشعوب العربية من دائرة محاربة التطبيع، فما نشاهده في المقابلات التي تنشر كيف يرتعد العربي اعتراضاً واستنكاراً عندما يعلم أنه يتعامل مع «إسرائيلي» في مقابل الكاميرا الخفية، فالشعور الذي يسكن كل عربي ومسلم رفض التطبيع، وحتى الحكومات التي تعقد اتفاقيات سلام مع الاحتلال لم تطيع مع

في ظل دعوات «التطبيع» من بعض المطبوعين العرب، وما تم عرضه من مسلسلات تشيد بكيان الاحتلال وتنانل من الفلسطينيين وقضيتهم، وفي ظل تباهي رئيس وزراء الاحتلال «بنيامين نتنياهو» بأنه زاد من دائرة التطبيع مع الدول العربية، تلتقي «المجتمع» د. مصطفى البرغوثي، أمين عام المبادرة الوطنية، والنائب في المجلس التشريعي، لتسليط الضوء على ظاهرة «التطبيع» التي بدت تظهر على السطح بدعم من أوساط خفية.

رام الله - مصطفى صبري:

أكد البرغوثي أن «التطبيع» مرفوض جملة وتفصيلاً، وهو على حساب قضية الشعب الفلسطيني، فـ «إسرائيل» كيان احتلال قائم ويطبق نظاماً عنصرياً قائماً على التطهير العرقي ونظام «أبرتهيد» والمعازل والكانتونات، فالفلسطيني الوحيد في العالم هو الذي يعيش نظام المعازل والاحتلال، والتطبيع مع هذه الدولة (المزعومة) استجابة لواقفها العنصرية، وتأييد خطير لدولة ليست لها حدود، وتعتبر حدودها ما بين العراق ومصر!

وأضاف: الذين يسعون للتطبيع من العرب في ظل «صفقة القرن» والعار وموقف الإدارة الأمريكية من مدينة القدس المحتلة والاعتراف بها عاصمة لدولة الاحتلال، وضم الجولان السوري المحتل، والاستعداد لضم الأغوار والمستوطنات بعد تشكيل الحكومة «الإسرائيلية»؛ هم شركاء في الجريمة والمؤامرة والمخططات التي تهدف إلى ضياع فلسطين ومقدساتها للأبد.

وأشار البرغوثي إلى أن الشعب الفلسطيني يناضل منذ قرن، وتتوالى النكسات والنكبات والجدار العنصري وصفقة العار، وهو واقف



دور الأسيرة في مقاومة «التطبيع»

منهج تربوي: تمثل الأسيرة الحاضرة التربوية الأولى التي تشكل البنية العميقة للشخصية، والهدف الرئيس الذي ينبغي وضعه نصب أعيننا هو ربط الطفل بتلك الأرض المقدسة، وغرس حبها في قلبه، واعتقاده الكامل أن هذه أرض عربية إسلامية، وأن هذا الاحتلال هو أمر عابر قد تكرر عبر التاريخ، وأن هذا الاحتلال ليست له حقوق مشروعة في هذه الأرض؛ لا حقوق تاريخية ولا دينية، وأن من لوازم الإيمان أن نحب إخواننا في هذه الأرض المقدسة، وأن نكره الغاصبين المحتلين.

هذه هي الأفكار الأساسية التي نريد غرسها في وعي أولادنا بهدوء وصبر؛ فالمنهج التربوي يعني توصيل الرسالة بطريقة صحيحة وإيجابية، أما ما يقوم به بعض الآباء والمربين من الضغط على الأطفال نفسياً، وتفريغ مشاعر الحزن والخذلان التي يعانون منها على هؤلاء الأطفال، وإغراقهم بمشاعر الأسى على فلسطين التي ضاعت والحلم الذي ذهب أدراج الرياح، والصهاينة الرابحين دائماً الأقوياء حتماً بالغي الذكاء شديدي السيطرة الذين يذيقون إخواننا صنوف العذاب والامتهان، ونحن عاجزون عن نصرتهم، وتعريضهم للصور الصادمة ونشرات الأخبار المحبطة؛ فهو أمر يؤدي

التي تتعرض لها الأسيرة سواء على المستوى الثقافي، أو باعتبارها جزءاً من المجتمع ككل، فإن الأسيرة الواعية تستطيع تجاوز هذه الضغوطات، بل والانتصار عليها، والفوز في معركة صناعة الوعي لدى الجيل الناشئ الجديد، وهذه المعركة يمكننا أن نطلق عليها «معركة الجهاد السلمي»، تلك التي تدور في عقل وقلب الجيل الناشئ الذي يعول عليه في رسم ملامح جديدة لمستقبل أمتنا.

يمكننا إذن القول: إنه لا عذر لأي أب أو أم أو أي مربٍ في خوض معركة الجهاد السلمي هذه لإبقاء قضية فلسطين والأقصى حية وحية ومركزية في وعي الأولاد، وهذا الهدف يعني بما لا يدع مجالاً للشك إلقاء مسألة التطبيع في سلة المهملات، أو على أقل تقدير يمكن أن يمثل حائط صد بالغ القوة في مواجهته ومقاومته.

على أنه ينبغي التنويه أنه ما لم تكن العلاقة داخل الأسرة سوية وصحية، بل ودافئة أيضاً، فإن الرسالة لن تصل؛ لأنها ستجد قلوباً مغلقة لن تقبلها؛ لأنها وضعت المرسل في قائمة الحظر، ومن ثم فالعمل من أجل تنقية الأجواء الأسرية والحفاظ على حيويتها خطوة أساسية ومحورية لتمكين الأسيرة للقيام بدورها الجهادي في نصرته القضية الفلسطينية ومقاومة التطبيع.

إذا كانت الظروف السياسية والأمنية المعقدة حالت دون الأمة والجهاد لتحرير فلسطين وتحرير الأقصى الأسير، فإنه لا عذر للأمة في التكاثر والتهاون بجعل القضية الفلسطينية مشتتة في القلوب والعقول ومركزية في التفكير والتقييم. وقد مرت الأمة بسوابق تاريخية مشابهة من حيث الأحوال السياسية المضطربة والهشة، بينما حافظت البنى الثقافية على روح الحضارة الإسلامية مضيئة ومتوهجة لكتابة فصل جديد من تاريخ هذه الأمة.

لعل البنية الداخلية لمؤسسة الأسرة تحديداً هي الأكثر قدرة على القيام بالمحافظة على روح الحضارة الإسلامية حتى في أسوأ وأحلك مراحل التدهور والتراجع الحضاري؛ لأنها المؤسسة الأكثر حرية وقدرة على اتخاذ القرار دون الخضوع القسري لمنظومة القيم السائدة أو للظروف السياسية المتدهورة، وعلى الرغم من أن هناك كثيراً من الضغوط

تنقية الأجواء الأسرية خطوة محورية لقيام الأسرة بدورها الجهادي بنصرة القضية الفلسطينية ومقاومة التطبيع

المنهج التربوي لمقاومة التطبيع يقوم على استلھام دروس التاريخ والثقة بوعد الله في نصر المؤمنين

لا ينبغي التهاون مع الأولاد في استخدام بعض المصطلحات التطبيعية مثل لفظة «إسرائيل»

الأعمال الدرامية قوالب تخرق قلب المشاهد المتلقي خاصة إذا كان طفلاً أو مراهقاً

مقاطعة بضائع العدو تبقى سلاحاً اقتصادياً بالغ الأهمية لا ينبغي للأسرة أن تفرط به

درامي راق يصب لصالح القضية، بديل مناسب لإشباع رغبة الأولاد لمثل هذه النوعية من الأعمال الفنية.

- وتبقى مقاطعة بضائع العدو ومنتجاته سلاحاً اقتصادياً بالغ الأهمية لا ينبغي للأسرة أن تفرط به؛ فعلى عاتق الأسرة تقع مسؤولية المقاطعة الاقتصادية، وينبغي أن نوضح للأولاد لماذا نقاطع هذا المنتج سواء كان صناعة صهيونية أو من شركة داعمة للمشروع الصهيوني، وهناك قوائم موجودة لمثل هذه البضائع، وهي فرصة متجددة لطرح موقفنا من قضية التطبيع وتطبيق عملي للطرح النظري الذي غرسناه فيهم.

مسؤولية الأسرة في هذه المعركة بالغة الضخامة؛ لذلك لا ينبغي أن يتسرب إليها الملل من كثرة الضغوط التي تدعو للتطبيع، أو بسبب أنه لا تبدو في الأفق الراهن إرهابات لنصرة القضية، ولكن الإيمان بأن الله يحاسب كل فرد في حدود ما يستطيعه وما يمتلكه من أدوات وقدرة على التأثير، وأن الله سبحانه وتعالى من بيده تغيير موازين القوى، وأننا فقط مطالبون بالسعي بجهد، يكفي أن يبذل مشاعر الإحباط الذي قد يتسلل إلى قلوبنا.

ولتكن إبقاء شعلة القضية الفلسطينية متوهجة حية في قلوب وعقول الجيل الناشئ، وقضية مقاومة التطبيع بكل صوره ودرجاته على رأس الأولويات التربوية للأسرة المسلمة، فهي جهد الوقت في اللحظة الراهنة. ■

«حارس الأقصى»، ولعبة «تحرير فلسطين».

- لا ينبغي التهاون أو التساهل معهم في استخدام بعض الكلمات والمصطلحات، وأهمها لفظة «إسرائيل»، فهو اسم لنبي الله يعقوب وليس اسماً لدولة ولا أرض، فإذا أن استخدموا لفظ الكيان الصهيوني أو العدو الصهيوني، فيتعلم الأولاد من ذلك رفض هذا العدو وعدم منحه أي شرعية، وإذا كان المنع يطال اسم العدو الذي أطلقه على نفسه، فكل ما جاء تحت هذا العنوان باطل.

- استثمار أوقات الحوار العائلي العفوي في تعميق الوعي بالقضية ومقاومة تيار التطبيع؛ فمثلاً يمكن استثمار جائحة «كورونا» وما أحدثته من تغييرات على كافة مناشط الحياة بطريقة لم تكن متصورة من قبل في تعميق فكرة إمكانية التغيير، وأنه لم تحن بعد نهاية التاريخ، وأيضاً طلاقة قدرة الله عز وجل، وأن هذا هو منطق الواقع الصحيح لا ما يدعيه أصحاب المنهج الواقعي الانهزامي.

- الرد على الشبهات التي تثار حول القضية الفلسطينية التي يستخدمها أصحاب المنهج الانهزامي دعاة التطبيع بصورة استباقية من قبل أن يسمعها الأولاد منهم؛ كشبهة أن الفلسطينيين باعوا أرضهم مثلاً.

- لا ينبغي تجاهل ما يشاهده الأولاد من أعمال درامية خاصة، وقد شهد رمضان هذا العام عملين دراميين أقل ما يقال عنهما: إنهما يروجان للتطبيع مع العدو؛ أحدهما يصور مدى الطيبة وحسن الخلق الذي يتمتع به اليهود، بينما يروج الثاني لحقد الفلسطينيين وعدم تقديرهم للمعروف، وأنه لا بأس من التجارة مع العدو والبحث عن مصالحنا؛ فخطورة الأعمال الدرامية أنها قوالب تخرق قلب المشاهد المتلقي وعواطفه، خاصة إذا كان طفلاً أو مراهقاً؛ بحيث يتم تحييد وعيه أثناء المشاهدة ويميل للتعاطف مع أبطال العمل الدرامي خاصة إذا كانوا من ذوي الوجوه المقبولة، كما حدث في هذين العملين؛ لذلك ينبغي قطع الطريق على مثل هذه الأعمال الدرامية ومقاطعتها، وفرض ما جاء فيها والتدبير به؛ لئلا يستقر في اللاوعي عند الأطفال، ولعل تجمع الأسرة لمشاهدة فيلم تسجيلي يدافع عن القضية أو يبرز أحد فصولها، أو حتى مشاهدة عمل

لنتيجة عكسية تماماً؛ فإذا أن ينشأ الطفل محبطاً يائساً عاجزاً عن التفكير والتغيير، وإذا أن يتجاهل القضية كلية حتى يستطيع العيش، وإذا أن يعاني نفسياً على مستوى اللاوعي فيعجب خفية بالقوي، ويحترق الضعيف المهزوم، ويقع في فخ الاستلاب الحضاري الكامل.

المقصود إذن بالمنهج التربوي هو المنهج الإيجابي الذي يقوم على محورين أساسيين: 1 - استلهم دروس التاريخ وما فيه من عبر وسُنن بدءاً من سُنن التداول، مع الاهتمام وتبسيط الضوء على النماذج الإيجابية المشرفة التي ارتبطت بفلسطين كعمر بن الخطاب، ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، بحيث تمثل هذه النماذج الواقعية الناجحة نموذجاً يحتذى به ويعزز شعوره بالثقة والقدرة على فعل التغيير.

2 - الإيمان والثقة بوعده الله في نصر المؤمنين، وأن علينا أن نحقق الإيمان في داخلنا حتى نستحق هذا النصر، ويرتبط بذلك حسن الخلق والالتزام في العبادة وبذل الجهد في الدراسة حتى نأخذ بسنن الله الكونية للنصر.

أفكار للمقاومة

عندما نشرع في وضع خطة تربوية لنصرة القضية الفلسطينية ومقاومة التطبيع في عقول أولادنا وقلوبهم؛ فمن الأهمية بمكان مراعاة المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل وما يناسبها من أفكار ووسائل، منها: - الأولاد في مرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة يحبون الحكى والقص والسرد؛ لذلك فمن الأفضل نقل المعلومات والمعارف على شكل قصة مشوقة تخاطب مشاعره وعواطفه، ثم تستقر في عقله، وهناك قصص مصورة مطبوعة على مستوى عال يمكن الاستعانة بها، كما توجد أفلام رسوم متحركة يمكن استخدامها كوسيط لجذب انتباه الطفل.

- الأولاد في مرحلة الطفولة المتأخرة والمراهقة يمكن طرح القضايا عليهم للمناقشة والبحث بطريقة مباشرة، والاستعانة بكتب معرفية مبسطة مناسبة لهم.

- هناك ألعاب إلكترونية لنصرة قضية فلسطين والأقصى، وأهمية الألعاب للأولاد في هذا العصر لا تخفى على أحد؛ مثل لعبة

فخاخ «التطبيع» الثقافي.. المفهوم والاختراق والفنون



شهد مصطلح «التطبيع» (Normalization) رواجاً في أعقاب اتفاقية «كامب ديفيد» بين مصر والكيان الصهيوني عام 1978م، حيث بدأ ترده في الفضاء السياسي والفكري والثقافي العربي؛ فقد كان التطبيع أحد المتطلبات، وأيضاً النواتج عن هذه الاتفاقية، ومن ثم بدأ خطواته بطيئة متقطعة، ثم تسارعت وتيرتها، على نحو ما نشهد في السنوات الأخيرة، ليس على المستوى السياسي فحسب، وإنما امتد ليشمل مختلف المجالات، من الاقتصاد إلى الثقافي والفني.

السلام» هي امتداد لتحديات الحرب مع الفارق؛ بل إن التعاون مع «إسرائيل» يعني تعاوناً مع كيان مسالم، بل هو طريق السلام والاعتدال ونيل المصادقية الدولية⁽³⁾.

ويتعاضم التسلاعب أكثر مع انمحاء مصطلح العالم العربي والإسلامي، وترويج مصطلح «الشرق الأوسط»، الذي هو جزء من أجندة «إسرائيلية» في خطابها الموجه إلى العالم العربي⁽⁴⁾، مما يعني نزع الهوية الإسلامية والعروبية عن عالمنا، مع الاعتراف بما يسمى يهودية الدولة، الذي يطلبه الكيان الصهيوني في «صفقة القرن»، التي تستهدف قيام شرق أوسط جديد، على الواقع القائم في الأراضي المحتلة، بدون أن تخسر «إسرائيل» شيئاً؛ فلا دولة للفلسطينيين، ولا حق للعودة، ولا إزالة للمستوطنات، مع إعادة تشكيل خارطة الشرق الأوسط لتكون «إسرائيل» هي القوة القائدة للمنطقة نظراً لتفوقها العلمي والتكنولوجي، وقدرتها على قيادة هذه الشعوب نحو رخاء دائم⁽⁵⁾.

وهو ما يفسره عبدالوهاب المسيري بمصطلح «التطبيع المعرفي»، بإضفاء

لتكون جزءاً من عقيدتهم المسيحية⁽²⁾، وهو ما يتضح بجلاء في الطابع الديني في خطاب الرؤساء الأمريكيين المتعاقبين خلال العقود الأربعة الأخيرة، بدءاً من «ريجان»، وانتهاء بـ «ترمب».

وهنا تكون المفارقة، فالخطاب الصهيوني ديني في أسسه ومنطلقاته، ومع ذلك تتجاهل النخبة العربية المطبّعة هذا البعد، وتستبعده من رؤاها؛ لأنها علمانية التوجه، تنتهج في طروحاتها الفكرية مبدأ الأمر الواقع، لتعطي شرعية وجود لهذا الكيان المغتصب، بل وتريد أن تنزع الخطاب الإسلامي عن جوهر الصراع مع الصهاينة، وبعبارة أوجز: تجيز للصهاينة ما تحرّمه علينا.

القاموس التطبيعي

وتبدت الإشكالية أعمق في القاموس الذي روّجته النخب الفكرية العربية الملتصقة بالمشروع التطبيعي، على نحو ما يشير جلال أمين، فلفظة «السلام» تحورت في الدلالة والواقع لتصبح «التسليم بكل ما يطلبه الإسرائيليون والأمريكيون»، وأن «تحديات

معلوم أن التطبيع في مفهومه المعتمد لا يستلزم وجود اتفاقية بين الكيان الصهيوني والدولة المطبّعة، بل إن ما تحت الطاولة أضعاف مضاعفة لما هو فوقها، ولذا فإن تعريف التطبيع في الأدبيات السياسية يشير إلى أنه «كل اتفاق رسمي أو غير رسمي أو تبادل تجاري أو ثقافي أو تعاون اقتصادي مع إسرائيليين رسميين أو غير رسميين»⁽¹⁾، بما يفتح النقاش لدراسة مختلف أشكال التواصل مع الكيان الصهيوني، بغض النظر عن البروتوكولات الرسمية.

وتكمن إشكالية التطبيع فيما يترتب عنه، فالتواصل مع الصهاينة يعني اعترافاً وإقراراً بوجودهم الذي هو نبتة استعمارية، غرست غرساً في قلب الأمة العربية والإسلامية، تحت دعاوى توراتية، تم إحيائها بعد تاريخ سحيق يعود إلى أربعة آلاف عام، بشعارات تفترض أن فلسطين بلا شعب، وتمنح لشعب بلا أرض، والأدهى أن الأيديولوجية الصهيونية تستند إلى أسس دينية، توغلت في الضمير المسيحي الغربي، بل وتوحدت مع اليمين الصهيوني في الولايات المتحدة،

رغم أن الخطاب الصهيوني ديني في منطلقاته فإن النخبة العربية المطبّعة تتجاهل هذا البعد وتستبعده

لفظة «السلام» تحورت في الدلالة والواقع لتصبح التسليم بكل ما يطلبه الصهاينة والأمريكيون

تحقق الكثير للمشروع الصهيوني لكن العقبة هي رفض الشعوب الإسلامية له واعتباره كياناً دخيلاً

عليه السلام، ولكنها تظل قصة متخيلة؛ بهدف إبراز صورة مشرقة لبني إسرائيل الذين يعيشون في منطقة طناي، التي هي فلسطين حالياً، وتظهرهم أنهم شعب متميز وإن كان بدوياً فقيراً، فـ «رام» شاب ذكي وسيم طموح ساع إلى التعلم، في حين تظهر صورة المصريين في الفيلم يعانون من الجهل والتخلف والتعصب، وحاكمهم فرعون مهووس بالسلطة، وقائد الجيوش عاجز جنسياً، وزوجته شبيقة للرجال، وقد ملّت من حياة المصريين، وكهنتهم، لذا سقطت في حب «رام»، وتطوّق إلى الفرار معه، لتحيّا حياة جديدة ومختلفة⁽⁹⁾.

وتتابعت الأعمال الفنية التي تشيد بذكاء اليهود، وتقدمهم في صورة تستوجب التعاطف معهم، خاصة الجالية اليهودية التي عاشت في مصر، ففي مسرحية «سكة السلامة» عام 2000م، للكاتب سعد الدين وهبة، ومن إخراج محمد صبحي وبطولته، يتعطل الأوتوبيس بالركاب في الصحراء، وتدور حوارات مطولة بينهم؛ كاشفة عن طبيعة شخصياتهم ومهنتهم، وينبري أحد الركاب، مشيداً بالطائفة اليهودية المصرية المخلصة، التي أقامت الشركات والمصانع، وتم طردهم ومصادرة أموالهم، وأن هناك يهوداً شرفاء ومخلصين كثيرين، ويرتبطون

بهدف الهيمنة على العقل العربي معرفياً، وترسيخ الوجود «الإسرائيلي» في وعي الأجيال الجديدة كحقيقة قائمة، وتقديمها كنموذج عالي المستوى في التقدم؛ ولذا كان أول الأعمال التي قام بها الكيان الصهيوني في أعقاب «كامب ديفيد» هو تأسيس «المركز الأكاديمي الإسرائيلي» في القاهرة عام 1982م، الذي أجرى بحثاً وجمع معلومات عن طبيعة الشعب المصري وشرائحه ومكوناته وأبرز قضايا ومشكلاته⁽⁸⁾، ليعرف كيف يمكن اختراق العمل الجمعي المصري، ومن ورائه العقول العربية، وكانت الفنون المراثية الوسيلة المثلى للاختراق، فما أكثر الرسائل الظاهرة والمبطنة التي يمكن دسّها في ثيابا العمل المراثي، ولن ينتبه إليها المتلقي العربي العادي، بل سستستقر تدريجياً في وعيه، ما دام لم يجد من ينهيه إلى خطورتها من جهة، ولأنها سستتابع عليه في أعمال فنية أخرى من جهة أخرى.

وقد جاءت الطروحات المحورية في جلّ الفنون المراثية المتصهينة بتقديم صورة اليهودي بشكل مطلق على أنه نموذج في الإبداع والرقي والتقدم، مع الدعوة إلى التعايش، وأن اليهود كانوا يوماً جزءاً من المجتمع العربي عندما عاشوا فيه.

وقد ظهر هذا مبكراً مع فيلم «المهاجر» للمخرج يوسف شاهين عام 1994م، الذي منعه الرقابة بمصر في أول أسابيع عرضه، قبل أن يعود للعرض بحكم قضائي، وكانت حجة المنع أن الفيلم يقدم تصوراً مختلفاً لقصة يوسف عليه السلام، من خلال شخصية «رام» الشاب الذي كان يعيش مع والده العجوز في قبيلة فقيرة على أطراف مصر في بادية الشام، فيقرر الهجرة إلى مصر لتعلم فنون الزراعة، ويصحبه إخوته السبعة في رحلته، ولكنهم يغدرون به، فيوثقونه بالحبال ويلقون به في مركب متجهة إلى مصر ظانين أنهم تخلصوا منه إلى الأبد، لكن «رام» يصل إلى مصر ويتعلم الزراعة، ويلتقي مع «أميهار» قائد الجيوش، وزوجته «سيمهيت» التي تهيم به حباً، إلا أنه يرفض العلاقة معها، وينسحب ليعيش في الأرض التي وهبها إياها «أميهار» عند حدود مصر لزراعتها، وهناك يقع في حب فتاة مصرية جميلة توافق على الزواج منه.

بالفعل تشابه الأحداث قصة يوسف

صبغة طبيعية على ظاهرة (أو كيان) لها خصوصيتها وتفردها وشذوذها، لتبدو منتمة إلى نمط عام سائد، وهو ما سقط فيه المثقفون والمفكرون العرب المطبّعون مع الصهاينة، حينما غالوا في التعميم باسم العلمنة والموضوعية، وإسقاط كل خصوصية عن الكيان الصهيوني، وجرائمه في حق فلسطين والأقصى والأمة.

وتبنوا نفس المقولات التحليلية المستخدمة في دراسة النظم السياسية والعلاقات بين الدول، فأروا أن الكيان الصهيوني دولة مثل أي دولة، ومن ثم يصبح الحديث عن تفوقها العسكري والاقتصادي مشروعاً؛ بغية الاستفادة منه، مع الإشادة بأن «إسرائيل» واحة للديمقراطية وحقوق الإنسان، متناسين حجم المأساة اليومية التي يعيشها الفلسطينيون من قصف واعتقال وتهجير وجماد عنصري فاصل، وأن «إسرائيل» هي كيان استعماري، معتمد على الدعم الغربي المطلق في كافة الجوانب، وأنها (إسرائيل) حتى اليوم بلا دستور مكتوب، ولا حدود سياسية ثابتة⁽⁶⁾، بل هي حدود متحركة، قابلة للتمدد بالاحتلال؛ لإقامة «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات.

ووفقاً لمنهجية المسيري، فإن الكيان الصهيوني يقوم بدور وظيفي لخدمة مصالح الغرب الاستعماري، بأن يبقي المنطقة العربية في حالة حروب وصراعات مستمرة، مما يسهل الهيمنة عليها، ونهب ثرواتها، مع تعهد الغرب بضمان أمن «إسرائيل» وتفوقها العسكري وحمايتها بشكل مطلق ودائم⁽⁷⁾.

وقد تحقق الكثير للمشروع الصهيوني، ولكن العقبة الكأداء -التي كانت وما زالت وحتماً سستستمر- هي رفض الشعوب العربية والإسلامية للوجود الصهيوني، والنظر إليه على أنه كيان دخيل، فلا يمكن للمدافع والصواريخ أن تلغي قناعات المسلمين، فالقضية لها بُعدها العقدي المتمثل في رمزية القدس، ومكانة المسجد الأقصى؛ ولذا، كانت هناك مساع إلى تغييب العقول العربية إن لم يكن غسلاً، وهذا دور التطبيع الثقافي، بكل مفاهيمه وآلياته لاختراق الوعي الجمعي العربي.

احتلال العقل

لقد ارتكز التطبيع الثقافي على إستراتيجية «احتلال العقل» علمياً وفكرياً؛

بالحب لهذه الأرض.

ونفس الأمر يتكرر في مسرحية «لعبة الست» عام 2000م، للفنان محمد صبحي، وهي قصة فيلم قديم لنجيب الريحاني وقد حمل الاسم نفسه أيضاً، ويواصل فيها صبحي تقديم صورة راقية لليهودي، من خلال شخصية صاحب الشركة إيزاك عنبر التي تقدم بطل المسرحية حسن أبو طبق للعمل فيها؛ فيقبله إيزاك على الفور، فقد وجد فيه النزاهة ولأنه جاء بلا واسطة، ثم تتطور الأحداث، ويتفاجأ حسن بتنازل إيزاك له عن الشركة، بعدما قرر الهجرة من مصر، تقديراً لأمانة حسن وشهامته، صورة اليهودي هنا كانت مثالية، فهو رجل أعمال نشط وناجح وذكي ولماح يقدر العاملين المخلصين معه، ولا يعرف تفرقة ولا يخضع للضغط أو الوساطة.

وفي المسلسل المصري «حارة اليهود» عام 2015م، نجد معزوفة مختلفة، حيث يصور حارة اليهود، التي يعيش فيها المسلمون والأقباط واليهود في تناغم وبلا أي تمييز، وإن شابهت بعض المشكلات الحياتية، ولكن حرب عام 1948م تعكر صفو هذه العلاقة، وتحولها إلى عدا، ويبدو التعايش كاملاً من خلال شخصية «ليلي» الفتاة اليهودية المثقفة والعاملة في محلات «شيكورل» (اليهودية)، وقد أحببت شخصية «علي» الضابط المصري المسلم الذي يحارب على الجبهة، وتتطور الأحداث، لتكون المحصلة إظهار اليهود بوصفهم جزءاً لا يتجزأ من الشعب المصري، وأن أحقاد السياسة سبب في تفريقهم.

مسلسل «أم هارون»

أما المسلسل الخليجي «أم هارون» عام 2020م، فقد حمل اسم الطيبة اليهودية التي عاشت مع أسرتها في الكويت وعشقت هذه الأرض، خلال سنوات الأربعينيات من القرن العشرين، وعانت من الاضطهاد والتمييز ضدها بسبب نكبة فلسطين، وكانت تلك هي الصورة التي روّجتها «إسرائيل» لليهود العرب، لتحفزهم على الهجرة إليها، فالعرب متعصبون جهلاء، أما دولة «إسرائيل» فهي واحة للحرية والمساواة، دون أدنى إشارة إلى ما فعلوه من

سينمايون ضد التطبيع

FILMMAKERS
AGAINST
NORMALIZATION

الطروحات الممورية في جل
الفنون المرئية المتصهينة
تقدم صورة اليهودي على أنه
نموذج في الإبداع والرقى

تتابعت أعمال فنية تشيد
بذكاء اليهود وتقدمهم
بصورة تستوجب التعاطف
معهم خاصة الذين عاشوا
بمصر

«أم هارون» أشار إلى «التطبيع»
بوصفه أمراً عادياً لا ضرر منه
شأنه شأن الحديث عن كرة
القدم!

اضطهاد وطرده ومذابح ضد الفلسطينيين. والأمر نفسه نجده في المسلسل الخليجي الكوميدي «مخرج 7» عام 2020م، الذي يتناول حياة عائلة موظف حكومي من الطبقة المتوسطة، يعاني من مشكلات الحياة اليومية، ويناقش التحولات التي شهدتها المجتمع السعودي خلال السنوات الأخيرة وتأثيرها على العائلة وانشغالات المواطن.

وقد أشار المسلسل في ثيابه إلى التطبيع مع «إسرائيل» بوصفه أمراً عادياً لا ضرر منه، شأنه شأن الحديث عن الأفلام وكرة القدم، وأن المواطن البسيط ليس معنياً بأخذ موقف من الصراع في الشرق الأوسط، مثلما ورد في حوار بين فتاة وعامل توصيل الطلبات، كما تعرض في بعض المواقف الحوارية إلى أن الفلسطيني لا يقدر وقفة المملكة والعرب معه، ويسبهم ليل نهار أكثر من «الإسرائيليين»، وأن كل الحروب كانت من أجل الفلسطينيين، وعندما صار لهم سلطة،

فهم يدفعون تكاليفها ورواتب موظفيها؛ وهو ما يعني إعادة النظر في الموقف من التعامل مع السلطة، والقضية الفلسطينية بأكملها، وأنها ليست قضية العرب المركزية. (جدير بالذكر أن قناة «إم بي سي» منتجة المسلسل، قررت الاكتفاء بعشرين حلقة، وعدم استكمال إنتاجه ولا عرضه؛ نظراً للجدل الذي تعرضت له).

ونؤكد ختاماً أن مختلف الأنشطة والفعاليات والفنون التي روّجت للتطبيع لها وجهان؛ وجه سلبي يتمثل في محاولة إعادة تمركز الكيان الصهيوني واليهود في الوعي الجمعي العربي، ووجه إيجابي يتمثل في انتفاضة الوعي العربي الفردي والجمعي ضدها، ورفضه مختلف أشكال الترويج أو الترسيع؛ فالقضية الفلسطينية ليست قضية احتلال أرض والسيطرة على شعب فقط، وإنما هي قضية عقدية في الأساس، فالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وإليه تشد الرحال، ولا يمكن لأي مسلم أن يقبل أن يكون المسجد تحت هيمنة الصهاينة، بدعوى السلام والاستقرار، ولذا نرى أن كل محاولات التطبيع تنتج رفضاً عاماً، وتعيد تمركز القضية الفلسطينية في الأفتدة والألباب، على أمل أن يأتي يوم تتغير فيه موازين القوى، وتعود الأرض لأصحابها، وترتفع راية الإسلام على مآذن قدسها. ■

الهوامش

- (1) التطبيع مع اليهود، حسين عبيدات، بحث مقدم في المؤتمر العام العاشر للصحفيين العرب، القاهرة، 2004.
- (2) انظر تفصيلاً: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي، ترجمة: محمد هشام، دار الشروق، ط4، 2002، ص70 وما بعدها.
- (3) المثقفون العرب وإسرائيل، د. جلال أمين، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص179، 180.
- (4) المرجع السابق، ص81.
- (5) صفقة قاصرة أم سلام مراوغ، د. رضا شحاتة، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ع179، خريف 2019، ص7.
- (6) موسوعة اليهود والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999، ج7، ص14.
- (7) المرجع السابق، ص21.
- (8) احتلال العقل: التطبيع، الحصار، صراع الغد، محمد الجزائري، دار الوراق للنشر، لندن، 1998، ص34، 35.
- (9) «المثقفون العرب وإسرائيل»، ص191.



سياسيون سودانيون لـ «المجتمع»:

«التطبيع» سراب زائف.. وخطوة البرهان لا تمثلنا

ليس من باب المزايدة السياسية، بل باعتبارها واحدة من الخطوط الحمراء، مشيراً إلى مشاركة الجيش السوداني في الحروب العربية ضد «إسرائيل»، ومؤتمر «اللاءات» الثلاث في الخرطوم تعبير وموقف واضح لا يزال.

ويؤكد أن الاعتبار الثالث إنساني؛ لأن الشعب السوداني لن يتقبل الظلم والاضطهاد، خاصة في ظل الممارسات «الإسرائيلية» في الضفة الغربية، وأنه من الصعب تقبل الحالة اللاأخلاقية واللاإنسانية في فلسطين، مؤكداً أن هذه الاعتبارات الثلاثة تشكل حاجزاً نفسياً يصعب التغلب عليها.

وقال: إن الخطوة التي قام بها الفريق البرهان واللقاء بـ «نتياهو» في كيبالا لم تجد حظها، رغم البشريات التي تم إطلاقها؛ مما أدخل البرهان في الحرج رغم عناده، وكانت خطوته عبارة عن قفزة في الظلام من أجل التطبيع.

التطبيع المشروط

هناك من يشترط عملية التطبيع مع «إسرائيل» من أجل أن تعيش منطقة الشرق الأوسط في سلام وتعايش؛ حيث يرى الأمين العام لتجمع جمعيات ومؤسسات المجتمع المدني في السودان المهندس نادر عبدالقادر إبراهيم أن التطبيع يجب أن يتم من أجل إيجاد حلول للقضية الفلسطينية، وإيقاف الاقتتال في الشرق الأوسط.

ويشير نادر، في حديثه لـ «المجتمع»، إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وقع معاهدة مع يهود المدينة بعد هجرته إليها مباشرة مما يدل على فكرة التعايش. ■

وأشار الشريف إلى أن القضية الفلسطينية ليست صراعاً دينياً، وإنما حق وتاريخ وفكر له قيمته، رافضاً أي مبدأ للتطبيع مع «إسرائيل» إلا بعد انسحابها من الأراضي الفلسطينية المحتلة.

قفزة في الظلام

هنالك ثلاثة عوامل تجعل من الصعب جداً قبول فكرة التطبيع مع الكيان الصهيوني، هذا ما يؤكد رئيس مبادرة التيار المهني الحر حسين الضو الحاج، في حديثه لـ «المجتمع»، الذي يشير إلى أن الموقف السوداني راسخ وثابت وليس شعاراً سياسياً.

ويؤكد الضو أن أول الاعتبارات الثلاثة هذه هو الموقف الديني العقدي للقضية الفلسطينية والمسجد الأقصى، وينظر إليها على أنها قضية دين؛ مما يرسخ الموقف تجاه عملية مقاومة التطبيع.

ويرى حسين أن الاعتبار الثاني هو الموقف السياسي المبدئي للحكومات في السودان أياً كانت مدنية أو عسكرية؛ حيث تنظر للقضية

الهندي: خطوة البرهان غير مبررة وموقفه لا يعبر عن السودان مطلقاً

الضو: البعد الديني للقضية الفلسطينية يرسخ رفض «التطبيع» بالإضافة للبُعدين السياسي والإنساني

الخرطوم - السمانى عوض الله:

وُصف لقاء رئيس مجلس السيادة السوداني الفريق عبدالفتاح البرهان مع رئيس الوزراء الصهيوني «بنيامين نتيناهو»، بأوغندا، في 3 فبراير الماضي، بـ «المؤلم»، ولا يعبر عن موقف السودان الشعبي نحو «التطبيع» مع الكيان الصهيوني، ورغم تبريرات البرهان بأن اجتماعه مع «نتيناهو» استهدف حفظ وصيانة الأمن الوطني السوداني، وتحقيق المصالح العليا للشعب، فإن القوى السياسية صُدمت بهذه الخطوة، واعتبرتها استفزازية، باعتبار أن فترة البرهان انتقالية لا يحق له أخذ خطوات في مثل هذه المسائل.

تبدو الرسالة التي بعث بها الرئيس السابق للمكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية الفلسطينية (حماس)، خالد مشعل، إلى النظام في السودان، أن التطبيع مع «إسرائيل» هو سراب زائف، هي تعبير يتفق مع موقف الكثير من الكيانات السياسية السودانية، إن لم تكن معظمها، خاصة عندما أكد مشعل أن الخرطوم في الذاكرة الفلسطينية لها مكانة عظيمة، فلا نريد أن تفجعونا بأي تنازلات.

من جانبه، قال رئيس الحزب الاتحادي الديمقراطي (الشرعية الثورية) الشريف صديق الهندي: إن ارتفاع أصوات داخلية بعملية التطبيع لا تعني بالضرورة إجماعاً وطنياً، واصفاً الخطوة التي قام بها البرهان بأنها سقطة وطنية غير مبررة، وأنه لا يملك الحق، وموقفه لا يشكل موقف السودان مطلقاً.

وأكد الهندي، في حديثه لـ «المجتمع»، أنه لا مساومة في القضية الفلسطينية، ولا تراجع عنها؛ لأن الأسس المنطقية لمقاومة الاحتلال الصهيوني لا تزال موجودة لا تتغير إلا بتغيير الوضع في الأراضي الفلسطينية، وأن العالم العربي لا يعطي الحق للفلسطينيين لأن القضية ليست حكراً على الفلسطينيين.



تمثل الكويت حالة رائدة في رفضها التطبيع مع الكيان الصهيوني منذ تغلغل هذا الاحتلال في جسد الأمة؛ حيث أعلنت من البداية التزامها؛ رسمياً وشعبياً، بمقاطعة هذا الكيان في ظل الوضع العربي المتردي.

الكويت ضد «التطبيع».. حكومة وشعباً

تابعة للكيان المحتل؛ ما جعل مؤسس حركة مقاطعة الاحتلال وفرض العقوبات عليها، عمر البرغوثي، يصف الكويت بالحالة الاستثنائية في هذه المقاطعة الرسمية والشعبية في ظل الوضع العربي المتباين.

وقد نفى نائب وزير الخارجية خالد الجارالله، في أكثر من موقف وتصريح سابق له، نفيًا قاطعاً وجود أي خطوات كويتية للتطبيع، وأكد أن الموقف الكويتي واضح منذ أن أعلنه الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد رحمه الله، بأن الكويت ستكون آخر دولة تطبع، وبين حينها أن الأصوات المنادية بالتطبيع مع الاحتلال فريدة، ولا تمت بصلة إلى الموقف الرسمي.

وفي يونيو من العام الماضي، شدد الجارالله على أن رفض بلاده التطبيع مع الاحتلال من الثوابت الكويتية للتعامل مع القضية الفلسطينية، مؤكداً رفض التطبيع ما لم تتحقق استحقاقات أساسية تلي مطالب الشعب الفلسطيني، ولفت إلى أن موقف الكويت ثابت في دعم السلطة والشعب الفلسطيني لتحقيق مطالبهما الشرعية، مشيراً إلى أن «تلك القضية هي القضية المركزية الأولى للأمة العربية».

كما دعا مجلس الأمة الكويتي

السابق أحمد الخطيب، أحد مؤسسي حركة القوميين العرب، دوراً بارزاً في تأسيس هذا النادي.

كما نجح رئيس مجلس الأمة الأسبق أحمد السعدون في طرد الكيان الصهيوني من الاتحاد الآسيوي لكرة القدم، حينما كان رئيساً للاتحاد عام 1976م، وقدم باسم الاتحاد مشروع قرار بطرد الكيان الصهيوني من الاتحاد الآسيوي لكرة القدم.

حالة استثنائية

ولم تغير الكويت نهجها المبدئي من التطبيع مع الكيان الصهيوني، على الرغم من أن هناك العديد من الدول العربية التي قامت بذلك، بل واستقبلت وفوداً رياضية وسياسية

تعود بداية حركة المقاطعة في الكويت إلى القانون (21) لسنة 1964م «الذي يحظر حيازة وتداول السلع الصهيونية بكل أنواعها»، وقد تم إقرار القانون من كل الوزراء والنواب الحاضرين بدون أي امتناع أو اعتراض، وفقاً لما جاء في المضبطة رقم (55)، في جلسة مجلس الأمة، بتاريخ 9 مايو 1964م.

بيد أن تاريخ المقاطعة الشعبية للكيان الصهيوني أقدم من هذا القانون، إذ إن المساهمة الشعبية في مقاطعة الكيان الصهيوني سبقت المؤسسات الرسمية في الكويت؛ ففي عام 1957م تأسس مكتب مقاطعة «إسرائيل»، وأدى التلاحم بين المؤسسات الحكومية والمنتخبة والشعب إلى بيئة مساندة لمقاطعة الكيان الصهيوني في دولة الكويت.

وجاء في كتاب «المجتمع المدني والحركة الوطنية في الكويت»، للدكتور فلاح المديرس، الصادر عن دار قرطاس للنشر عام 2000م، أن هناك العديد من اللجان التي شكلت للمقاطعة الشعبية للكيان المحتل، ومنها «لجنة كل مواطن خفير» التي شكلت بمبادرة من «النادي الثقافي القومي» ذي الصلة الوثيقة بالقوميين العرب في الكويت، إذ أدى النائب



الوضع الراهن الذي يجب الاعتراف به فهو واهم؛ لأنه سرطان يريد أن يقضي على الأرض العربية والفكر الإسلامي، ويجب أن تنبه بذلك أولادنا، والمسألة أبعد من «صفقة القرن».

ميادين الرياضة ضد التطبيع

وشهد العقد الأخير العديد من المواقف المشرفة من رياضيين كويتيين رفضوا اللعب ضد أي رياضي من الكيان الصهيوني، معلنين انسحابهم، رافضين بذلك الاعتراف بالاحتلال ورياضته.

ففي عام 2012م، انسحب بطل تنس الطاولة للمعوقين، الكويتي عوض الحربي، من نصف نهائي بطولة رومانيا المفتوحة، رافضاً مواجهة منافسه الصهيوني «جيفا ليران».

وفي السياق نفسه، تصدر الكويتيون المشهد الرفض للتطبيع، وخصوصاً في العام 2018م، ففي منافسات بطولة «بيزا» الدولية للمبارزة، التي أقيمت في إيطاليا، انسحب اللاعب الكويتي فهد البستاني من دور المجموعات للبطولة، بعد علمه أنه سيواجه أحد اللاعبين «الإسرائيلي».

وفي العام نفسه، انسحب لاعب نادي السالمية والمنتخب الوطني في التنس الأرضي، عبدالحميد محبوب جمعة، من بطولة «الفيتشرز» العالمية، وأعلن لاعب ألعاب القوى، صالح الحداد، انسحابه من بطولة «كأس فلندرز» البلجيكي، بسبب مشاركة لاعب «إسرائيلي» في مسابقة الوثب الطويل.

كما رفض اللاعب الكويتي الأولمبي، عبدالعزيز الشطي، مواجهة الصهيوني «بسكين جورجي» في بطولة العالم للمبارزة في سويسرا، وقرر عبدالله العنجري الانسحاب من بطولة العالم في لعبة الجوجيتسو بولاية لوس أنجلوس، رفضاً لنتائج القرعة التي وضعت في مواجهة لاعب صهيوني.

وفي العام 2019م، انسحب لاعب نادي الشباب ومنتخب الكويت للحدود، حبيب السبت، من بطولة روما الدولية بعد معرفته بوجود 3 لاعبين من الكيان الصهيوني معه في الفئة نفسها. ■

الصهيوني ماثلاً للأذهان، وهو الموقف الذي حظي بإشادة من صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، حفظه الله، وتقدير الشعوب والسياسيين العرب.

وقد رفض عدد من النواب التطبيع مع الكيان المحتل، حيث قال النائب الكويتي أسامة الشاهين، في تصريحات مصورة: الكويت عصية على التطبيع مع الكيان الصهيوني؛ سواء الثقافي أو الاقتصادي أو السياسي.

وقال الشاهين: منذ ثلاثينيات القرن الماضي، ومنذ البدايات الأولى لنشاط العصابات الصهيونية قبل قيام دولة الاحتلال، كان الشعب الكويتي يرفض الاحتلال، ويتضامنون مع الحقوق العربية والإسلامية سواء في فلسطين أو غيرها.

وقال النائب محمد الدلال: إذا كان عندنا احترام لتراث الأجداد لوجدنا أنهم في الأربعينيات اجتهدوا وسعوا إلى دعم القضية الفلسطينية، ومن يعتقد أنه كيان

البرغوثي: موقف الكويت من المقاطعة استثنائي في ظل الوضع العربي المتباين

مظاهر الرفض الكويتي للتطبيع تعددت بين أروقة السياسة وميادين الرياضة

حينها إلى مقاطعة أعمال مؤتمر المنامة التي دعت لها الولايات المتحدة كتمهيد لـ «صفقة القرن» ضمن خطتها للسلام لحل الصراع الفلسطيني مع الكيان الصهيوني.

كما رفض المجلس حينها كل ما أسفر عنه المؤتمر من نتائج من شأنها أن تساهم في تضيق الحقوق العربية والإسلامية التاريخية في فلسطين المحتلة، مؤكداً أن الكويت كانت تاريخياً مناصرة على الدوام للحقوق الثابتة والمشروعة للشعب الفلسطيني، مبينين أن التطبيع مع الكيان الصهيوني مناهض للثوابت والمواقف والتشريعات الكويتية.

موقف ثابت

كان الموقف الشعبي الكويتي الذي عبرت عنه النخب السياسية والتجمعات النقابية ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة مراراً وتكراراً رافضاً رفضاً قاطعاً لأي محاولة للتطبيع مع الكيان الصهيوني.

وقد تجلّى الموقف الرسمي والشعبي الكويتي في العديد من الفعاليات التي قالت بكل بوضوح: «لا للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وموقف الكويت ثابت لن يتغير، والتطبيع مرفوض»، وعكست مواقع التواصل الاجتماعي الموقف نفسه، معبرة عن الضمير العربي المكبوت، في ظل الأوضاع المتردية في الوطن العربي، مستفيدة من مساحة الحرية المكفولة في دولة الكويت.

ولا يزال موقف رئيس مجلس الأمة الكويتي مرزوق علي الغانم في اجتماعات البرلمان الدولي بروسيا حينما طرد الوفد



ماليزيا و«التطبيع»..

عين على السياسة وأخرى على الاقتصاد

«Pasport ini sah digunakan untuk semua negara kecuali Israel» أي: «هذا الجواز صالح للاستخدام لجميع دول العالم عدا إسرائيل»، تمثل هذه العبارة المطبوعة على غلاف جواز السفر الماليزي من الداخل عنواناً للعلاقة بين الكيان الصهيوني ودولة ماليزيا ذات الأغلبية المسلمة، في الوقت ذاته يمنع القانون الماليزي دخول من يحمل جواز سفر ما يسمى بـ «إسرائيل» إلى ماليزيا دون الحصول على إذن كتابي من وزارة الشؤون الداخلية الماليزية، وهو أمر أثبتت التجربة أنه من الصعوبة بمكان.

هاجم سياسة الاحتلال وتوسعاته، وأصر على رفض التبادل الدبلوماسي بينهما، وكثيراً ما خرجت تصريحاته الهجومية على الكيان عن نهجه الهادئ والمعروف به في الأوساط الدولية. وقبل صعود تحالف الأمل تحت قيادته إلى السلطة منتصف عام 2018م، كانت هناك خطوات خجولة نحو التمهيد لعلاقات بين البلدين يقودها تحالف «PERSATU» الحاكم بقيادة نجيب عبدالرازق، قيل: إنها جاءت تحت ضغوط من جهات تدعم عملية التطبيع وتروج لها بقوة في المجتمع الدولي؛ فقد سمحت ماليزيا، ولأول مرة، لوفد «إسرائيلي» رفيع المستوى بحضور مؤتمر نظمته الأمم المتحدة، في فبراير 2018م، بعد تاريخ حافل من المنع والمقاطعة؛ مما أثار عاصفة شعبية

عام 1964م لأغراض تجارية، وأرسل مبعوثه التجاري «موشي بيغار» بغرض معلن هو الحفاظ على الشركة ومعالجة مشكلاتها، وآخر خفي وهو التمهيد لإقامة علاقات دبلوماسية مع ماليزيا، لكن في عام 1966م اضطرت ماليزيا إلى طرده تحت ضغوط محلية ودولية من دول العالم الإسلامي، ثم ظلت العلاقات تراوح مكانها، قبول حذر على المستوى السياسي ورفض شعبي وإقليمي صريح، إلى أن وصل د. مهاتير محمد إلى سدة الحكم عام 1981م.

مهاتير والرفض التام

يعتبر د. مهاتير محمد، الذي قاد البلاد 23 عاماً (1981 - 2003م)، عراب رفض «التطبيع» مع الكيان الصهيوني، وكثيراً ما

كانت زيارة «موشيه شاريت»، وزير خارجية الكيان الصهيوني عام 1956م، إلى كوالالمبور أول علاقة رسمية بين الكيان وماليزيا قبل استقلالها عن التاج البريطاني بعام واحد، عرض خلالها وزير الخارجية تبادل دبلوماسياً بينهما، وقابله تنكو عبدالرحمن، أول رئيس وزراء بعد الاستقلال والأب الروحي لاتحاد الملايو، بالموافقة دون تردد، حسب رواية «موشيه»، إلا أن عبدالرحمن عاد وتكرّر لهذه الوعود لاحقاً، متذرعاً بالرفض الشعبي، وتحت ضغط من دول إسلامية في الشرق الأوسط، على رأسها مصر.

لكن الكيان الصهيوني لم يفقد الأمل، فقد استغل قرار شركته الوحيدة في ماليزيا «إنتراسيا» بنقل عملياتها إلى سنغافورة



**أول علاقة رسمية مع الاحتلال
الصهيوني تعود إلى عام
1956م قبل استقلال ماليزيا
عن التاج البريطاني**

**الأرقام التجارية مع الاحتلال
تعكس صورة مغايرة للموقف
السياسي بسبب الشركات
الوسيط**



يعتبر مهاتير محمد عزّاب رفض «التطبيع» مع الكيان الصهيوني

هل ينجح الضغط الشعبي
في منع قطار «التطبيع»
الكامل مع الكيان من الوصول
إلى محطته الأخيرة؟

العامّة، والمساجد، والجامعات، أنشطة مناهضة للعدوان على أرض وشعب فلسطين، ولم تمر حادثة من حوادث العدوان على غزة دون ردود فعل قوية في الشارع الماليزي، ومن المألوف على مدار العام في المتاجر الكبرى والحفلات الفنية أن تجد صندوقاً لجمع التبرعات لدعم صمود الشعب الفلسطيني؛ مما يؤكد أن القضية العادلة لحقوق الشعب في أرضه ومقدساته حية في قلوب الجماهير أكثر منها في نظر السياسيين ورجال المال. ربما يمثل التباعد المكاني والضعف النسبي لتأثير ماليزيا على المستوى الدولي دافعا للكيان بأن يجعل ماليزيا في مرتبة تالية على قائمة مهامه، لكن المؤكد أن محاولاته لزيادة التبادل التجاري وصولاً إلى التطبيع الكامل لن تتوقف، فإلى متى سينجح الضغط الشعبي في منع هذا القطار من الوصول إلى محطته الأخيرة؟ ستتكلل التغيرات المحلية والإقليمية والدولية، خاصة في عالم ما بعد «كورونا»، بالإجابة عن هذا التساؤل. ■

السلطات منحهما تأشيرات الدخول، وفي العام التالي قررت ماليزيا عدم استضافة مؤتمر «فيفا» عام 2017م بسبب مشاركة وفد «إسرائيلي».

على الرغم من الرفض الشعبي الماليزي الواسع للكيان الصهيوني، والتعاطف الواضح مع القضية الفلسطينية، ودعمها المادي والمعنوي على الأقل في صفوف الأغلبية المسلمة في البلاد؛ فإن الأمر لا يبدو بالدرجة ذاتها على مستوى السياسيين ورجال الاقتصاد، إذا ما استثنينا ذوي التوجهات الإسلامية منهم.

عين على الاقتصاد

على صعيد التبادل التجاري، تظهر صورة مغايرة تماماً تعكس حقيقة العلاقة بين ماليزيا والكيان، كما تحكيها الأرقام بعيداً عن شعارات السياسة، وتصريحات الإعلام، على الصعيد الرسمي؛ فإن التجارة بينهما محظورة منذ عام 1974م بقرار ماليزي، إلا أن رؤوس الأموال الماليزية وجدت طريقها إلى قلب الاحتلال الصهيوني عبر شركات وسيطة على الحدود في سنغافورة وتايلاند، وحسب التقارير الصادرة عن دائرة الإحصاء في الكيان، فقد تطور التبادل التجاري بينهما من 130 مليون دولار فقط عام 1999م ليصل إلى أكثر من 1.5 مليار دولار عام 2013م، الجزء الأكبر من هذا الميزان التجاري لصالح الكيان الصهيوني، إذ تمثل الواردات إلى ماليزيا أكثر من 90% منه في معظم السنوات.

هذا التنامي الملحوظ في التبادل التجاري بين ماليزيا والكيان يمثل مؤشراً خطيراً لبدء مرحلة جديدة من التقارب على المستوى السياسي، وعلى كافة الجهات المهتمة بمقاومة التطبيع، خاصة القوى والمكونات الوطنية الفلسطينية، مهمة النهوض والتحرك ضد هذا التوجه بخطوات تعرف مواقع أقدامها، وأن تتبنى خطاباً لتوعية شعوب منطقة شرقي آسيا بخطورة هذه التطورات على القضية الفلسطينية والحق الإسلامي في الأرض المحتلة، قبل أن يتسع الخرق على الراقع، ويصل هذا الاختراق الاقتصادي إلى النخبة السياسية مؤثراً على مواقفها ودعمها للحق الفلسطيني. على المستوى الشعبي، تشهد الساحات

من الاستياء واسع النطاق، إلى الحد الذي دعا مراقبين للاعتقاد بأن خطوات التقارب تلك مع الكيان قد تكون الشعرة التي قصمت ظهر البعير، وأفقدت التحالف سيطرة على مقاليد الحكم التي دامت ما يزيد على 30 عاماً، خاصة أنها كانت قرب الانتخابات، فعاقبت الجماهير التحالف بالتصويت ضده في انتخابات منتصف عام 2018م.

وفي يناير 2019م، رفضت ماليزيا مشاركة الفريق «الإسرائيلي» في مسابقة السباحة لذوي الاحتياجات الخاصة المؤهلة لأولمبياد طوكيو 2020م، وهددت اللجنة الأولمبية بسحب تنظيم المسابقة الدولية من ماليزيا إذا لم تتراجع عن قرارها، ثم نفذت تهديدها لاحقاً ونقلت البطولة إلى العاصمة البريطانية لندن، وفي بيان اللجنة الأولمبية، أكدت أنها كانت قد أخذت تعهدات من الحكومة الماليزية أنها لن تمنع أي مشارك من أي دولة كانت، لكن فوز تحالف الأمل وصعود مهاتير محمد غير المعادلة السياسية.

أثارت تلك الحادثة عاصفة من هجوم الكيان الصهيوني على مهاتير حين وصفت القرار بأنه ناتج عن معاداته «المسعورة للسامية»، حسب زعمهم، لكنه رد لهم الصاع صاعين حين وصف الكيان بـ «الدولة المجرمة»، وقال: «إنهم لصصوص وليسوا بشراً»، مضيفاً: «إن الأشخاص غير المرغوب بهم سيقون خارج حدودنا، من أجل ذلك صنعت الحدود!» ثم قال: «إذا كان الرياضيون مصريين على المشاركة، فعلى اللجنة الأولمبية أن تجد لهم مكاناً آخر غير بلادي».

ثم عاد في وقت لاحق بعد استقالته من رئاسة الوزراء للهجوم من جديد على الكيان واصفاً ممارساته بـ «الفصل العنصري والإبادة الجماعية التي ارتكبت ضد الإنسانية من قبل دولة إرهابية تسمى إسرائيل»، وقال: «إن هذه الممارسات لن تنتهي إلا بانتهاء الاحتلال»، ثم هاجم «صفقة القرن»، واصفاً إياها بأنها تقدم القدس التاريخية على طبق من ذهب للصهيانية، متجاهلة مشاعر الملايين من المسلمين والمسيحيين، مؤكداً أنها لن تجلب سوى مزيد من الصراع في المنطقة.

لم تكن تلك السابقة الأولى، ففي عام 2015م اضطر «إسرائيليون» من راكبي القوارب الشراعية إلى الانسحاب من منافسة في منتجع جزيرة لُكاوي بعدما رفضت



الأمة تجاه الكيان الصهيوني..

مقاومة صاعدة رغم الخمود وتطبيع زائل رغم العلو

تمر الأمة بلحظة حضارية فارقة، تتعلق بإثبات الوجود والتميز الحضاري والإضافة للإنسانية، وسلوك طريق المقاومة بمفهومها الشامل، وليس اختزال ذلك في كدح وحيد، أو الموت الحضاري بما يعنيه من استسلام وخضوع لحسابات من أسقط الأمة من حساباته من أجل مصالحه ومصالح المقربين منه خوفاً أو طمعاً، وهي خيانة في الحالتين. وفي هذا التحقيق، نستعرض آراء عدد من الخبراء والمختصين، التونسيين حول قضية التطبيع، وموقف الأمة منها الآن مقارنة بموقفها من المقاومة.

وحول ظاهرة التطبيع أفاد: لم يعد خافياً اليوم ما تبديه بعض دول المنطقة العربية من تقارب وتودد ظاهر مع كيان الاحتلال، بهدف تطبيع العلاقات معه؛ وهو ما انعكس سلباً على الفلسطينيين، إذ اجتهدت تلك الدول في التضييق على الفلسطينيين ومحاصرة ناشطهم خارج فلسطين وداخلها إلى حد اعتبرت فيه المقاومة إرهاباً.

وأردف: سعت دول عربية بعينها إلى مضاعفة حصار غزة بهدم الأنفاق التي تسترق من خلالها بعض المؤن، وإغراقها بالمياه، وقطع المساعدات على المحاصرين في غزة، ووصل الأمر إلى اعتقال الناشطين في عدد من الدول العربية.

وقال الأكاديمي البارز د. سامي براهيم، «المجتمع»: رأي المطبوعين قائم على اعتقاد وهمي مفاده أن التطبيع هو البديل عن الاستجابة لتطلعات وأشواق الأمة في إدارة

في البداية، قال د. سالم المساهلي، الأستاذ بالمعهد العالي للدراسات التطبيقية والإنسانيات، الكاتب والشاعر، في حديث «المجتمع»: إذا كانت المقاومة جمعاً وإعياً لشروط الثبات والوقوف أمام دواعي الاستلاب أو الارتهان للآخر، فإنها في تجلياتها الإجرائية تعني الالتزام في كل التعبيرات الفكرية والفنية والسياسية والعملية بذلك الخيار، حيث لا مجال للتردد أو المساومة تحت أي مبرر أو طائل.

وتابع: لا شك أن مصطلح المقاومة في لحظتنا الراهنة اقترن بمعاني التصدي للاحتلال الصهيوني ولكل مخططات تمده في المنطقة العربية والإسلامية، سواء من خلال قضم الأراضي الفلسطينية أو اللبنانية، أو عبر الاتصالات الجهرية والسرية بينه وبين المناورين، من المحسوبين على الأمة العربية.

المساهلي: لم يعد خافياً ما تبديه بعض الدول العربية من تودد ظاهر مع كيان الاحتلال

الجبالي: لا بد من تفعيل دور «الشعب العميق» في مقابل «الدولة العميقة» فهو يمتلك نفس أساليبها

على السلطة الفلسطينية أن تصحح المسار الذي ثبت فشله من عام 1993م وحتى الآن، وتلتحم بخيار المقاومة وتضع يدها في يد «حماس» و«الجهاد الإسلامي» وبقيّة فصائل المقاومة الفلسطينية.

الشعب العميق

إلى ذلك، قال ضابط الأمن السابق، والمحامي والحقوقي البارز محمد شريف الجبالي، الذي كان له دور بارز في مقاومة الدولة العميقة في تونس من عام 2011 وحتى عام 2015م (تعرض للتسمم ولا يزال يعالج منه حتى الآن): إن الشعب العميق هو من ستكون له الغلبة بين محوري المقاومة والتطبيع لصالح الخيار الأول.

وتابع، في اتصال هاتفي أجرته معه «المجتمع»: الدولة العميقة هي التي تقوم بالتطبيع، وتقلب الأنظمة الشرعية، وتخرب أي مسعى لامتلاك الإرادة، وهي أسرع تحركاً؛ لذلك نجد نتائجها على السطح، أما الشعب العميق فهو أثقل تحركاً وربما يبدو رماداً، وكما يقول أبو القاسم الشابي: «فإن تحت الرماد اللهب».

وأردف: لا بد من تفعيل دور «الشعب العميق»، فهو يمتلك نفس أساليب الدولة العميقة، ويمكنني أن أستشهد بالثورة التونسية؛ فهي لم تتجح من فراغ، بل كان هناك شعب عميق تصدى للدولة العميقة واستخدم نفس الأساليب ولا يزال، فرمز الدولة العميقة كمال الطيف مثلاً تمت محاصرته بنفس أساليبه، ومنع من السفر لمدة عامين.

وأشار الجبالي إلى أن التطبيع لا يتم رأساً مع الكيان الصهيوني فحسب، بل عن طريق مطيعين ودول سُمّاهما تحاول فرض التطبيع فرضاً على دول عربية أخرى، وتحارب «الربيع العربي» لهذا الغرض أساساً، ووصل الأمر حد دعم الإرهاب ونشر الفوضى وشراء ذمم الرخيصين في عدد من الدول العربية لصالح الكيان الصهيوني. ودعا الجبالي ما وصفه بالشعب العميق وقواه الحية لمواصلة التصدي لقوى الردة والتطبيع؛ لأن النصر سيكون حليفهم في النهاية. ■

بل إن التطبيع هو مقدمة لريادة الكيان الصهيوني للمنطقة وقيادتها بعنوان تابع ومتبوع وليس الشراكة؛ لأن الطبيعة مختلفة في الجانبين ويكل المقياس، والمستجدات الجيوسياسية براً وبحراً كتبادل الأراضي في المنطقة والتفويت فيها وضم الضفة الغربية والجولان من قبل الكيان الصهيوني تصب في الاتجاه آنف الذكر؛ أي تتويج الكيان الصهيوني ملكاً في بحر من «العبيد».

وبالتالي، فالأمة مهددة في اقتصادها وكل مقدراتها بذلك التطبيع، وهو هروب إلى الأمام ولربح الوقت من قبل أنظمة فاقدة للشرعية الشعبية، بل ومفروضة على شعوبها، وخياراتها ليست خيارات شعبية وبالتالي فهي مؤقتة.

وخلص إلى القول: إن خيار المقاومة في ظل ما يجري يؤكد للأمة أنه الطريق الوحيد بدل السراب الذي يلهث وراءه البعض يحسبه سلاماً، وقبل الأنظمة يجب

براهم:

**يعتقد البعض أن الطريق إلى
واشنطن كحامية للأنظمة
الشمولية يمر بالضرورة عبر
التطبيع مع الصهاينة**

**التطبيع خدمة مجانية للعدو
لفرض سيطرته بدعم عربي
على القضية الفلسطينية
وتصفيتها**



الشأن العام بشكل جماعي ووفقاً للآليات المعاصرة في الإدارة.

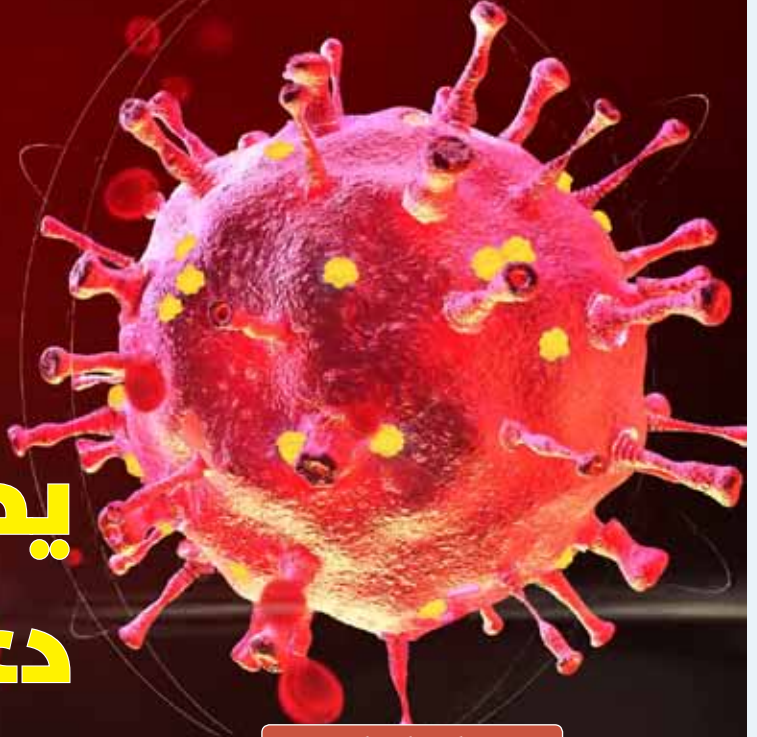
وأضاف: يعتقد البعض أن التطبيع يمكن أن يحمي بعض الأنظمة من تأثيرات «ثورات الربيع العربي»، بما يعنيه من حريات عامة، وحريات في التنظيم السياسي، وحرية الإعلام، والمشاركة في الحكم عبر الانتخابات، وتقييد السلط المطلقة، وهو مسار حتمي قدرتي؛ إذ إن المنطقة ورغم ما نشاهده من علو للتطبيع والمطيعين ومن يطبع معه مقدمة على مسار وتحولات كبرى باتجاه الحريات وامتلاك شعوب الأمة لمصيرها لتصبح مخيرة لا مسيرة.

وواصل: كما يعتقد هذا البعض أن الطريق إلى واشنطن كحامية لتلك الأنظمة الشمولية يمر بالضرورة عبر التطبيع مع الكيان الصهيوني، وذلك بالنسبة لهم أقل كلفة من الإصلاحات السياسية الضرورية لتصبح الشعوب حرة، إذ إن الحرية مرهونة بامتلاك الإرادة.

علاوة على ذلك، أشار براهم إلى أن هناك أنظمة -وليس الشعوب فحسب- لا تملك إرادة الرفض، وهي أداة في يد الإمبريالية تأمرها فتطيع، فالخوف من الشعوب الذي كان يحتج به لدى الإمبريالي أصبح يمثل خطراً عليها بما يعني، ما دامت تخاف فهي ليست شعبية؛ وبالتالي ليست قادرة على الحكم، ولذلك دخلت في مجازفة نهايتها الخسران؛ لأن الشعوب لا يمكن أن تظل صامتة للأبد، ودول «الربيع العربي» أكبر دليل على ذلك، والقانون الذي حكمها وأفضى لما وصلت إليه لا يستثني أحداً، وجائحة «كورونا» دقت ناقوس الخطر في هذا السبيل.

وعن خطورة التطبيع، ذكر براهم أنه بعيداً عن شحنات العاطفة المجردة التي طبعت علاقات البعض بالقضية الفلسطينية، فإن التطبيع ليس إلا خدمة مجانية للعدو لفرض سيطرته بدعم عربي رسمي على القضية الفلسطينية وتصفيتها وضرب مشروع الدولة الفلسطينية حتى في حدودها وفق ما سمي بالمبادرة العربية، ليس ذلك فقط، كما قال براهم،

علماء ودعاة لـ «المجتمع»: ما بعد «كورونا» يحتاج لمهارات دعوية مختلفة



علا سليمان

مع أول أزمة حقيقية تواجهها تلك المجتمعات. وهنا يثور التساؤل: كيف يمكن لدعاة الإسلام أن ينفذوا من خلال هذه الأزمة إلى قلوب وعقول الجماهير لإعادة عرض الإسلام بمنظومته القيمية مرة أخرى؟

كان المفكر الإسلامي مراد هوفمان قد تحدث عن أن محمد أسد تنبأ قبل الحرب العالمية الثانية بزيادة عدد الداخلين في الإسلام، معللاً ذلك بأن هذه الأزمات وأشباهها تترك في النفوس والعقول حيرة واضطراباً وقلقاً؛ ومن ثم يكثر الحديث عن الحاجة إلى البحث عن منقذ وهاذ لهذه الحيرة، والإسلام هو المشرح الأول بمنظومته القيمية المؤسسة على هدايات الوحي السماوي.

ونحن في «المجتمع» نسأل بدورنا: هل يمكن لما خلفته «كورونا» من تداعيات أن تؤسس لمرحلة جديدة من النظر إلى الإسلام والتعامل معه من غير المسلمين خاصة في المجتمعات الغربية؟ وهل يمكن لدعاة الإسلام استثمار الحدث في إعادة عرض منظومة القيم الإسلامية بعد أن أصابها التشويه زمناً طويلاً؟ وما الوسائل والمهارات الدعوية التي يجب أن يكتسبها الداعية ويمكنها أن تضي بغرض كهذا؟ وهل يمكن التفكير في موضوع كهذا على مستوى دعوي فردي، أم أنه يحتاج إلى جهد مؤسسي؟

أسئلة كثيرة عن أزمة «كورونا» ومستقبل الدعوة الإسلامية تطرحها «المجتمع» على نخبة من أساتذة الدعوة وعلماء الاجتماع وناشطين دينيين في المجتمع الأوروبي.

المشهد الأول: العودة إلى الله؛

- الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» يدعو، عبر «تويتر»، إلى جعل الأحد 15 مارس يوماً وطنياً للصلاة من أجل «كورونا»؛

المشهد الثاني: حقوق الإنسان تتهاوى؛

- «هيئة الإذاعة البريطانية» (بي بي سي) تنشر خبراً عن وزيرة الدفاع الإسبانية «مارجريتا روبلز» تؤكد فيه العنصر على كبار السن في إحدى دور الرعاية الذين تركوا مهملين تماماً إلى أن ماتوا في أسرتهم بسبب «كورونا»؛

المشهد الثالث: سرقات وقرصنة؛

- مجلة «دير شبيجل» الألمانية تؤكد اختفاء شحنة تحوي 6 ملايين قناع للحماية من العدوى بفيروس «كورونا» المستجد، كانت في طريقها إلى ألمانيا؛

- وسائل إعلام ألمانية تعلن، على لسان مسؤولين حكوميين، عن سرقة 50 ألف كمائة من مخازن مستشفيات مدينة كولن؛

- وسائل إعلام غربية: التشيك تستولي على شحنة مساعدات مرسله من الصين إلى إيطاليا؛

- وزير التجارة التونسي محمد المسيليني يقول: إن باخرة كانت محملة بالكحول الطبي تعرضت للسرقة في عرض البحر، خلال توجهها إلى الساحل التونسي؛

تلك مجموعة من المشاهد حدثت وعاشها العالم كله في ظل أزمة «كورونا»، وهي توضح على أمور غاية في الأهمية؛ لعل أهمها هو ما يمكن تسميته بضعف منظومات القيم الوضعية التي تم تأسيسها بناء على مرجعيات بشرية، وهي ما جعلها تتهاوى سريعاً

ولذلك طالب هندي الدعاة في الغرب ومؤسسات الدعوة فيه بتطوير مهاراتهم في التعامل مع الأزمات، مشدداً على ضرورة امتلاك الداعية شيئاً من الحكمة وحسن الإدارة يؤهله للتعامل مع الأزمات وتوظيفها توظيفاً جيداً.

وشدد على أن تحصيل ذلك كله لا يأتي إلا من خلال القراءة المستتيرة، ومخالطة العلماء، ومتابعة الجهود الدعوية المبذولة في ظل هذه الأزمة، كل ذلك إنما يساعد على تطوير ذاتية الداعية، سواء الفرد أو المؤسسة الدعوية كلها.

وطالب هندي، كذلك، الدعاة والمؤسسات أن يطوروا وسائلهم، مؤكداً أن من إيجابيات تلك الأزمة أن كثيراً من الدعاة استطاعوا اقتحام الوسائل التكنولوجية الحديثة، لافتاً إلى أنه كداعية بدأ استخدام التطبيقات الإلكترونية، مثل «زوم»، و«تليجرام».. إلخ، مع أنها موجودة قديماً، ولكننا لم نكن نسمع عنها، فنحن كدعاة -إلكترونيين- أو علماء، أو أساتذة جامعات، علينا اكتساب القدرة التي تساعدنا على استخدام هذه الوسائل. وفي إشارة إلى القوالب التي يمكن

سابقة لم تحدث من قبل، توافق على إقامة صلاة العيد، مثلاً، لمؤسستنا في أكبر ملاعب المدينة، وتضمن دورها في تنظيم صلاة الجمعة عن طريق التسجيل المسبق، ووجود مسافة بين المصلين، وغيرها من الإجراءات الاحترازية.

وأكد المهدي أن خطاب الكراهية الذي كان قد انتشر في ألمانيا بشكل عام، ومنطقة بيليفيلد بشكل خاص، قد توقف تماماً أثناء الأزمة؛ نظراً لما ابتكره المسلمون من وسائل أثبتوا بها اندماجهم الإيجابي في المجتمع، ودلل على ذلك بأن المؤسسة التي يعمل إماماً لأحد مراكزها في بيليفيلد ابتكرت هذا العام طريقة جديدة للإفطار في رمضان، فلم يعد في المسجد، وإنما أصبح عن طريق وجبات جاهزة توزع على المسلمين وغيرهم، لافتاً إلى أن كثيراً من المواطنين الألمان من غير المسلمين الذين يحتاجون إلى هذه الوجبات لظروف خاصة بهم أصبحوا يترددون على المسجد ليأخذوا وجبتهم، مرددين بعض الشعائر الإسلامية كتحية الإسلام إظهاراً للتودد والتقرب من المسلمين.

ويعلق المهدي: معرفة مفاتيح المجتمع الذي تمارس معه الدعوة إلى الله من أهم الأدوات التي يجب على الداعية تحصيلها؛ ليستطيع الوصول إلى قلوب المدعوين، بعيداً عن القوالب النمطية الجاهزة التي نفرت الناس كثيراً من الإسلام وبعض دعائه.

المهارات الدعوية للأزمة

من جانبه، قال د. عادل هندي، أستاذ الدعوة بجامعة الأزهر: إن التعامل الدعوي مع الأزمات ينبغي أن ينطلق من معرفة أركان عملية الدعوة ذاتها؛ وذلك لخلق حالة دعوية تناسب الأزمة وتستثمر تبعاتها، موضحاً أن الأركان التي يقصدها هي الداعي والمدعو والجمهور والوسائل المستخدمة، وفي النهاية قياس الأثر المرتبط بالرسالة الدعوية.

وفيما يتعلق بالداعي نفسه، لفت د. هندي إلى أنه في ظل هذه الأزمة يجب على الداعي ألا يكون روتينياً يرتبط بشكل معين، أو لا يستخدم إلا أسلوب «الكتاب» الذي لا همَّ له سوى تلقين الناس دينهم، أو يتعامل مع الإسلام وكأنه محصور في القطر الإسلامي، دون النظر إلى رسالة الإسلام الشاملة العالمية.



د. عماد المهدي:

معرفة مفاتيح المجتمع من أهم أدوات الداعية ليصل لقلوب المدعوين

خطاب الكراهية بألمانيا توقف تماماً أثناء الأزمة لابتكار المسلمين وسائل أثبتوا بها اندماجهم بالمجتمع

بداية، يؤكد د. عماد محمد المختار المهدي، إمام المركز الإسلامي بمدينة بيليفيلد بمقاطعة شمال الراين بألمانيا، أن العمل الدعوي في الغرب يجعلنا نفكر بطريقة مختلفة عن نوع المقاربة التي يمكننا من خلالها استثمار جائحة «كورونا» في إعادة عرض الإسلام مرة أخرى.

ويدلل المهدي على ذلك قائلاً: كثيراً ما تحدثنا عن ضرورة الاندماج في مجتمعاتنا الغربية بلا ذوبان كامل، بحيث يكون اندماجاً يحفظ لنا هويتنا الحضارية، ويؤسس لكوننا مواطنين داخل تلك المجتمعات نحافظ عليها ونتعاون من أجل رفعتها، وفي ظل «كورونا» تجلى ذلك كإحدى أهم أدوات مواجهة خطاب الكراهية الذي كان سائداً تجاه الإسلام والمسلمين، حيث استطاعت مؤسستنا، مثلاً، كسب ثقة الدولة؛ من خلال العمل سوياً في الحفاظ على النظام العام، وحماية أرواح الناس بالالتزام بإغلاق المساجد، والتعاون في كل ما من شأنه أن يحافظ على الأرواح. ويستطرد: وهذا ما جعل الدولة، في



د. عادل هندي:

على الداعية أن يتعد عن الأساليب النمطية ويسوّق دعوته بالسلوك قبل القول

أطالب الدعاة بتطوير ذواتهم وامتلاك مهارات تؤهلهم لإدارة نشاطاتهم الدعوية في النوازل

د. خالد عبد الحميد:

هناك حاجة لبدائل حضارية يتوافر فيها الأمن الاجتماعي والروحي وعلى الدعاة عرض الإسلام بصورة حضارية

الأزمة بعد «كورونا» إنسانية وأخلاقية وليست طبية وعلى الدعاة تفهم ذلك وحسن استثماره

يؤكد أنه لا تقدّم ولا حضارة ولا نهضة إلا بتكرّم هذا الركن (الإنسان) والقيام بحقه، لافتاً إلى أن عرض الإسلام بهذه الطريقة هو مفتاح الوصول إلى قلوب الذين طبعهم الأزمة بطابع الحيرة.

واختتم أستاذ علم الاجتماع قائلاً: إن الأزمة في العالم الغربي الآن بعد «كورونا» ليست طبية بقدر ما هي أزمة إنسانية وأخلاقية وقيمية، وعلى دعاة الإسلام ومؤسساته هناك أن تبادر بالتعامل مع الأزمة من خلال تلك المنطلقات لتكسب أرضاً جديدة داخل تلك المجتمعات.

معرفة الواقع

أما د. أيمن فايز، أستاذ الدعوة والإعلام بجامعة الأزهر، فأكد ضرورة معرفة الأزمة وما خلفته معرفة صحيحة: حتى يمكن للدعاة ولؤسسات الدعوة أن تتعامل معها، لافتاً إلى أن جائحة «كورونا» كشفت، من جانب، عن أمراض العالم الحقيقية، وأبانت عن عظمة الإسلام في علاجه لتلك الأمراض، من جانب آخر، محدداً ثلاثة أدواء رئيسة عكسها نمط التعامل مع تلك المحنة، وهي: الغرور العلمي، والنفاق الحضاري، والشقاء الروحي، حسب تعبيره.



كما كان قبلها على المستوى الاجتماعي، مشيراً إلى أن كثيرين داخل المجتمعات الأوروبية فقدوا ثقتهم في اللّمة الاجتماعية التي انكشف عوارها بسبب أنانية القيم الرأسمالية، مدللًا بترك إحدى الحكومات الأوروبية داراً كاملة للمسنين دون متابعة؛ ما أدى لوفاة كثيرين؛ وأيضاً ما أثير عن عزم بعض الدول التفكير في علاج أعمار معينة وترك أخرى بسبب ضغط الأزمة! وعلق عبد الحميد قائلاً: هذه الأحداث وغيرها ستجعل كثيرين يتجاوبون مع بدائل حضارية ينشدون فيها الأمن الاجتماعي والروحي الذي خلفته تلك الأزمة، مشدداً على أن الإسلام كدين وشريعة ومنهج حياة يأتي في مقدمة المرشحين لملء هذا الفراغ في عقول وقلوب هؤلاء.

من هنا، يتابع د. عبد الحميد، يستطيع دعاة الإسلام النفاذ لعقول الجماهير قبل قلوبهم في إعادة عرض المنهج الإسلامي العادل الكامل الشامل العالمي، إسلام يجمع بين الفضل والعدل، بين الجلال والجمال والكمال، إسلام يساوي بين البشر جميعاً؛ فلا قدسية لشخص على شخص، وليس هناك دم مقدس يجري في عروق إنسان دون آخرين، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

ويتابع: يجب على الدعاة الآن أن يدركوا خطورة خطابهم؛ فيعرضوا الإسلام الذي يملأ قلوب أتباعه حباً للغير من إنسان أو حيوان أو جماد؛ الإسلام الحضاري الذي يجعل الإنسان هو ركن الحضارة، وبالتالي

للداعية من خلالها استثمار الأزمة، قال هندي: على الدعاة ومؤسسات الدعوة في الغرب تحديداً أن تطور في قولها الدعوية، لافتاً إلى أن الدعوة الحقيقية لا تقتصر على الكلام، وإنما تكون بالدعوة التطبيقية العملية، فالإسلام انتشر أساساً في تلك البلدان وغيرها بأفعال الدعاة وأخلاق التجار.

وبالتالي، يستطرد د. هندي، يجب على الداعي أن يسوّق دعوة الإسلام؛ قولاً وسلوكاً، كوقوفه بجوار المهموم، وسعيه في حوائج الناس وغير ذلك، مؤكداً أن هذه الواجبات تكون أكثر تأكيداً في حالة المؤسسات الإسلامية التي ينبغي أن تضع خطاً محكمة للاندماج المجتمعي وتحقيق أثر الدعوة على الأرض عملياً، بعيداً عن القوالب الروتينية.

وفي النهاية، شدد أستاذ الدعوة على ضرورة الوعي الكامل بطبائع المدعوين في المجتمعات الغربية، لافتاً إلى أنها تمنح الداعية القدرة على تسويق دعوته، فيخرجها مناسبة لعقول مخاطبيه وأفهامهم، وأكد أن الوعي المنشود بطبائع الجمهور المستهدف - وليكن الجمهور الغربي - هو أهم عامل في تحديد نتائج دعوته، قائلاً: حينما يسألني أحدهم ويطلب مني تعليقاً على حال الغرب في تعاملهم مع الأزمة، أو مع المرضى في المستشفيات، حتى أستطيع أن أجيبه، يجب أن أكون على دراية بطبائع المجتمع، فنظرتي محلية أو إقليمية، لا نظرة شاملة عامة تنظر إلى الغرب بمنظور الإنسانية.

ظلال اجتماعية

وعن التجليات الاجتماعية للأزمة وكيفية استثمارها دعوياً، قال د. خالد عبد الحميد، أستاذ علم الاجتماع: إن الأزمة عبارة عن حالة استثنائية يمر بها الإنسان، فإما يتعامل معها إيجابياً، وإما يتخلى عن قيمه وإنسانيته، لافتاً إلى أن «كورونا» فضحت بعض البلدان والأقطار، في معاملتها مع المرضى والمصابين والأموات الذين ماتوا بها، كما أنها أظهرت لنا شيئاً من أنانية بعض البشر.

وأكد د. عبد الحميد أن ما حدث في الأزمة، وما زال يحدث، سيُلقي بظلاله الاجتماعية على المجتمعات الأوروبية كثيراً، ولذلك فإن العالم بعد أزمة «كورونا» لن يكون



د. أيمن فايز:

ينبغي عرض الإسلام بعيداً عن الطريقة التقليدية وعدم الانشغال بقضايا هامشية

**يجب على الدعاة تركيز خطابهم
على ما يحتاجه الغرب من قيم
كبرى مؤسّسة على هدايات
الوحي الإلهي**

كتمان العلم، وتغيب احتكار المعرفة، حتى ليقول رسولها صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

بل ويحض على التكافل العلمي، ويحبب إلى الناس تبادل الخبرات، وتداول المعلومات، فيقول، وقد سئل عن أفضل الأعمال: «تُعِينُ ضَائِعاً، أَوْ تَصْنَعُ لآخرق»، والآخرق هو من ليس لديه علم ولا خبرة وهو في طريقه للبحث عن جلب منفعة، أو دفع مضرة.

حضارة تتأبى على استغلال حاجة المحتاجين، وكرب المكروبين، إذ هي التي تصف أتباعها بقوله تعالى: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً» (الإنسان)، والأسير معروف حاله.

ويختتم فايز قائلاً: هكذا ينبغي عرض الإسلام بعيداً عن الطريقة التقليدية والانشغال بقضايا هامشية لا وجود لها إلا في عقول مختلقينها؛ ليتم استثمار الأزمة استثماراً صحيحاً لصالح خير البشرية وسعادتها. ■

لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ».

ويتابع أستاذ الدعوة والإعلام: عليهم أن يعرضوا الإسلام الذي يثبت في النفس معاني الرضا، وما يثيره فيها من الوفاء بمتطلبات الإيمان بالقضاء والقدر، وكذلك بما يحييها به من برد اليقين بالله والإيمان ببقائه، الإسلام بهذا كله يعطي النفس بلسمها الذي تعالج به ما عساه أن يعرض لها من تلك المشاعر السلبية، ويمنحها بدلاً عن ذلك انشراحاً وفرحة يعوضانها عن كل فائت.

وعما أسماه النفاق الحضاري قال د. فايز: إن جائحة «كورونا» عرّت نفاق الحضارة المعاصرة، وكشفت عن كذبها؛ فالحضارة التي أوسعت الناس كلاماً عن الإخاء الإنساني، ومراعاة المصالح المشتركة، وأهمية التعاون الدولي، إلى آخر تلك الشعارات، تجلّى أنها حضارة أنانية في أقوى معانيها، حضارة تتحكم فيها عوامل القوة لا عواطف الرحمة، أوجت إلى الإنسان أنه لا سبيل لكسبه إلا إذا خسر الآخرون، وقد تجلت تلك الأنانية في أسلوب القرصنة الذي احترفته بعض العصابات الدولية، حتى شملت تلك القرصنة المجالات الاقتصادية، والسياسية، بل والعلمية، ووصلت إلى القرصنة على الأدوية، وكمامات الوقاية، والأردية الطبية، وهي في طريقها لبعض البلاد المنكوبة!

وتابع: كما ظهرت أمارات الأنانية الحضارية المعاصرة كذلك في محاولة احتكار الدول الكبرى ما توصلت إليه من سبل مقاومة ذلك الفيروس، وحجبها ما يتعلق بمقاومته من معلومات.

ولذلك يرى د. فايز أن الدعاة ينبغي لهم طرح الإسلام بمنظومته التي تعالج تلك الأدواء وعرضه بالطريقة الصحيحة، وبيتعدون عن الطرق التقليدية، ويعرضون الحضارة التي تردّ الناس كلهم لرحم إنسانية مشتركة، وهي تنادي فيهم: «كلكم لأدم وأدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح»، كما تدعوهم صباح مساء: «وكونوا عباد الله إخواناً»، الحضارة التي تسد منافذ الطمع على البشرية بدعوتها أن يكون الناس كلهم شركاء في الاقتصاد، وإخوة في الاجتماع، الحضارة التي تستقبل

وتابع فايز: فلو بدأنا من الأمن الروحي الذي هو أول ما يجعل الإنسان في حالة من الاطمئنان الدائم، وانعدامه يعني معاناة نفسية، وعذاباً وجدانياً؛ سنجد سببين كان لكل منهما نصيبه من حرمان البشرية الرضا، وسلبها السكينة، وعلى الدعاة ومؤسسات الدعوة أن تنتبه لهذا جيداً، وأن تعمل عليه من خلال مشاريع دعوية متقنة. والسببان، من وجهة د. فايز، هما المادية الطاغية، والتنكر للدين والخروج على أحكامه، مشيراً إلى أن آثار هذين العاملين على النفس تجلت بإصابتها بالإحباط واليأس في مواجهتها ذلك الوباء العالمي، ورأينا تبعاً لذلك استسلاماً ساخطاً يقطع رجاء الناس في الحياة، حتى لقد تنادى البعض بضرورة أن يودع كل منهم قريبه وحبيبه بعد أن ينتظر يائساً مصيره المجهول.

ويستدرك فايز قائلاً: ينبغي للدعاة، أمام هذه المشاعر السلبية، أن يعيدوا عرض الإسلام بطريقة تثبت في النفس المعذبة معاني التفاؤل والرضا، وتدعو الناس على لسان رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم إلى السعي في طلب العلاج، والأخذ بأسباب التداوي الذي وعدهم بإمكانه ولو كره اليائسون، بقوله: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ





د. وصفى عاشور أبو زيد

أستاذ مقاصد الشريعة الإسلامية

منهجية الإفتاء في نوازل «كورونا»

دقة الإفتاء وخطورته:

ولا شك أن الإفتاء منصب عظيم، حتى أطلق عليه ابن القيم مقام «التوقيع عن رب العالمين»؛ ولهذا فهو شديد ودقيق وخطير، وقد كان الصحابة يتهربون منه ويحيل بعضهم على بعض الفتاوى والاستفتاء.

وفي هذا المعنى يقول الإمام مالك رحمه الله: «ما شيء أشد عليّ من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام؛ لأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه في بلدنا، وإن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه، ورأيت أهل زماننا هذا يشتهون الكلام فيه والفتيا، ولو وقفوا على ما يصيرون إليه غداً لقللوا من هذا، وإن عمر بن الخطاب، وعلياً، وعلقمة، وخيار الصحابة كانت ترد عليهم المسائل وهم خير القرون الذين بعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يجمعون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويسألون، ثم حينئذ يفتون فيها، وأهل زماننا هذا قد صار فخرهم الفتيا، فبقدر ذلك يفتح لهم من العلم»⁽³⁾، هذا في عصر الإمام مالك، فكيف لو عاش لعصرنا ورأى وسائل التواصل فماذا عساه أن يقول؟!

الشريعة الإسلامية بطبيعتها فيها من الصلوحية والعموم والشمول ما يجعلها قادرة -بفعل المجتهدين فيها- أن تبسط سلطانها على الواقع، وتفي بحاجة المستجدات والنوازل. فأما صلوحيتها فلما تضمنته من أدلة تشتمل على مرونة وسعة تستوعب كل جديد: قياس، مصلحة مرسلّة، استحسان، قواعد، مقاصد.. الخ.

وأما أنها عامة، فهي رسالة إنسانية لكل الخلق، لم تنزل لمكان دون مكان، ولا لزمان دون زمان، ولا لقوم دون غيرهم، وإنما هي رسالة الزمان والمكان والإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما أنها شاملة، فهي تشمل تشريعات لكل مجالات الحياة، فليست مقصورة على مجال دون مجال، وإنما لكل مناحي الحياة.

وفي هذا يروي شيخنا الإمام يوسف القرضاوي عن الإمام حسن البنا في «خصائص رسالة الإسلام» قوله وافية معبرة: إذ يقول: «إنها الرسالة التي امتدت طويلاً حتى شملت آباد الزمان، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة»⁽²⁾.

حين ظهر وباء فيروس «كورونا» وأحدث ما أحدث من تغييرات كبيرة، ظهرت مع هذه التغييرات ظواهر ونزلات نوازل، وجدت مستجدات، وكل هذا يتطلب كلمة الشرع الشريف؛ فلا تنزل نازلة إلا وللإسلام حكم فيها، قد يكون تفصيلياً، وقد يكون منهجياً، فالتفصيلي هو ما توجد أدلته بشكل مباشر وجزئي، والمنهجي هو ما يدل على منهجية القول فيها والوصول لحكم بشأنها. وفي النوع الأخير، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»⁽¹⁾.

الفتيا في عصرنا تتعرض للانتهاك من غير المؤهلين في حين تقتصر التخصصات الدنيوية على المتخصصين

وللصيدلي وينصتون، إلا الفتوى في دين الله فإنها - مع الأسف - أصبحت مباحة الحمى!

ثانياً: فقه النازلة:

إن فقه النازلة والواقع المحيط بها وملابساتها وطبيعتها والتعرف إلى تفصيلاتها الجزئية بدقة وأمانة يعتبر الفصيل في الاجتهاد، وتنزيل الحكم الشرعي وتحقيق مناطه، فإن عين المجتهد تقع أول ما تقع على النازلة وفقهها والوقوف على كل ما يتعلق بها، ثم يذهب للشرع الشريف ونصوصه المقدسة يلتبس لها العلاج والدواء والحكم الشرعي الصحيح.

وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علماً.

والثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر؛ فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك لم يعدم أجرين أو أجراً، ومن تأمل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحة بهذا، ومن سلك غير هذا أوضاع على الناس حقوقهم، ونسبه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله»⁽⁸⁾.

فابن القيم هنا يبين مركزية فقه النازلة وما يلابسها في الواقع، ويعتبرها الخطوة الأولى في الاجتهاد التي يتأسس عليها فقه الواجب فيها، فبعدما يتعرف إلى النازلة يذهب للشرع الشريف بنصوصه ومقاصده لبحث لهذه النازلة عن حكمها الصحيح.

ومن فراسة المفتي وفطنته أن يستفسر عن كل شيء خاص بالنازلة؛ كي يستوعبها تماماً، وهذا يناظر عمل الطبيب؛ فإنه يسأل المريض أسئلة كثيرة حتى يقف على التشخيص السليم للمرض ليصف له العلاج الناجح والدواء الناجع؛ ولهذا دائماً هناك شبه كبير بين تعامل المفتي مع الأديان وتعامل الطبيب مع الأبدان.

عين المجتهد تقع أول ما تقع على النازلة وفقهها والوقوف على كل ما يتعلق بها ثم يذهب للشرع

هناك شبه بين تعامل المفتي مع الأديان والطبيب مع الأبدان فالحاذق من يحسن التشخيص قبل العلاج

نازلة «كورونا» تتصل بأحكام المساجد والصلوات والصيام والاعتكاف والحج والجنائز وبعض الأحكام الاجتماعية



أو المجتهد التي تشمل العلم بالقرآن والسنة ومواضع الاختلاف ومواضع الاتفاق ومقاصد الشريعة وعلوم العربية ونحو ذلك مما هو مكرر ومقرر في كتب الأصول.

ومن المؤسف أن الفتيا في عصرنا تتعرض للانتهاك من غير المؤهلين لها؛ فيفتي من يعرف ومن لا يعرف، من هو مؤهل ومن ليس مؤهلاً، في حين أنهم عند التخصصات الدنيوية في الطب والهندسة وعلوم الأرض بل علوم الدنيا لا يتجرؤون هذه الجراءة، وإنما يستمعون للطبيب ولا يناقشون، وللمهندس ويستمعون، وللعالم الفلك ولا يجادلون،

معالم منهجية في الإفتاء بشأن «كورونا»:

وللنظر في المستجدات عامة، ونازلة فيروس «كورونا المستجد» خاصة، منهجية من اللازم اتباعها للوصول إلى حكم شرعي صحيح، ومن أهم هذه المعالم:

أولاً: لا ينظر في النوازل إلا المؤهلون لها:

لا بد للنظر في نصوص الشريعة عامة، والنوازل خاصة، أن تتوفر فيه مؤهلات مذكورة ومقررة في كتب الأصول، وهناك من الأئمة من أجمل خصلاً وأدباً فضلاً عن المقومات، ومن ذلك ما قاله الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال:

أولها: أن تكون له نية، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور.

والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة.

الثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته.

الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس.

الخامسة: معرفة الناس.

قال الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الخصال: «وهذا مما يدل على جلالة أحمد، ومحلّه من العلم والمعرفة؛ فإن هذه الخمسة هي دعائم الفتوى، وأي شيء نقص منها ظهر الخلل في المفتي بحسبه»⁽⁴⁾، ثم شرح الإمام ابن القيم كل خصلة منها شرحاً وافياً في الموضع نفسه. وفي الثاني وعدم التسرع في الفتوى، جاء عن الإمام مالك رحمه الله أنه قال: «إني لأفكر في مسألة منذ بضع عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن»⁽⁵⁾، وقال أيضاً:

«ربما وردت عليّ المسألة فأفكر فيها ليالي»⁽⁶⁾. ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في ذلك: «حقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يعدّ له عدته، وأن يتأهب له أهبطه، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصديق به، فإن الله ناصر وهادي، وكيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه رب الأرباب»⁽⁷⁾.

هذه جملة من الخصائص والخصال التي ينبغي أن يتحلّى بها من يتصدى للنظر الشرعي في النوازل؛ فضلاً عن شروط المفتي

ثالثاً: العلم بالأحكام الشرعية المتعلقة بالنزلة:

ومن معالم المنهجية الواجب اتباعها في الفتاوى بالنوازل -بعد الاطلاع على النزلة بتفصيلاتها كما سبق- أن يكون المفتي أو المجتهد على علم بالأبواب الفقهية والمسائل التي تندرج تحتها النزلة إن كانت مما يندرج تحت باب أو يخرج على مسأله.

وقد تكون النزلة جديدة غير مسبقة؛ فيتمسك لها المجتهد بعلمه وخبرته وملكانه ومهاراته حكم الشرع لها من خلال ما استقر لديه من الكليات والمعاني والمقاصد وروح التشريع بشكل عام.

فإذا كانت المسألة النزلة أو المستجدة تقع في باب العبادات فيجب استحضار مسائل العبادات ومقاصدها ومراد الشارع العام منها، وإذا كانت تقع في أحكام الأسرة فعلى هذا النحو، وهكذا في الأبواب كلها.

وفي نزلة «كورونا»، فإنها تتصل بأحكام المساجد والصلوات والصيام والاعتكاف والحج والجنائز وبعض الأحكام الاجتماعية؛ فيجب على الفقيه الذي تأهل للنظر ويتصدى للإفتاء والاجتهاد أن يكون محيطاً إحاطة كاملة بهذه المسائل ويستحضرها ويستظهرها؛ شكلاً وروحاً، أحكاماً ومقاصد، بالأسباب والشروط والأركان والموانع والعزائم والرخص والصحة والفساد والبطلان؛ حتى يتمكن من التخيير والإلحاق، أو الاجتهاد من جديد إن شاء؛ مستحضراً مقاصد الشارع من الباب الذي تنتمي له المسألة محل الاجتهاد والنظر والإفتاء.

رابعاً: رعاية المقاصد:

ومن المعالم المنهجية في الإفتاء بالنوازل رعاية مقاصد الأحكام؛ فإنها ضابطة للعقل الفقهي، وناظمة لحركة الإفتاء والنظر في النصوص والاستنباط منها، فوظائف المقاصد متنوعة ومهمة ومحورية.

وهذا ما حدا الإمام الشاطبي أن يحصر مقومات درجة الاجتهاد في وصفين: فهم مقاصد الشريعة، والقدرة على الاستنباط في ضوئها، يقول: «إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها.

والثاني: الممكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها.

أما الأول؛ فقد مر في كتاب المقاصد أن الشريعة مبنية على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف؛ إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات واستقر بالاستقراء التام أن المصالح على ثلاث مراتب، فإذا بلغ الإنسان مبلغاً، فهم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها فقد حصل له وصف هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله.

وأما الثاني: فهو كالخادم للأول؛ فإن التمكن من ذلك إنما هو بواسطة معارف محتاج إليها في فهم الشريعة أولاً، ومن هنا كان خادماً للأول⁽⁹⁾.

ونص الشاطبي هذا واضح وجلي ومعبر عن المراد بهذا المعلم، وأهميته في النظر الشرعي، ومحوريته في الاجتهاد وشرعيته وصحته.

خامساً: رعاية المآلات:

قد يكون المجتهد متمكناً من استيعاب النزلة، وقد يكون متضلعا من علوم الشريعة، ومتحققاً بمقومات الاجتهاد وشرائطه، ولكنه لا يملك مهارة التنزيل التي تتضمن النظر إلى الموازنات بين المصالح بعضها وبعض، والمفاسد بعضها وبعض، والمصالح والمفاسد، وكذلك رعاية المآلات واعتبارها قبل التنزيل وأثناء التنزيل.

فقد يكون الأمر واجباً، ثم يتحول إلى حرام؛ بسبب ما يفضي إليه من مآل فاسد أو ضار، وقد يكون محرماً لكنه يباح أو قد يصل للوجوب بسبب رعاية المآل، وهكذا.

ولهذا قرر الإمام الشاطبي أن «النظر في

مقاصد الأحكام متنوعة فهي ضابطة للعقل الفقهي وناظمة لحركة الإفتاء والنظر في النصوص والاستنباط منها

مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدراً، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تدفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب مذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة⁽¹⁰⁾.

وبهذه المعالم يكون المجتهد أقرب للسلامة، ويكون الاجتهاد أدنى للصحة، وتكون الفتوى محققة لمقاصدها؛ صحة في النظر، وتحقيقاً للمناط، واستيعاباً للواقع، وتحكماً للمقاصد، ورعاية للمآلات، والله تعالى أعلى وأعلم أحكم. ■

الهوامش

- (1) الرسالة: 20. محمد بن إدريس الشافعي. تحقيق أحمد شاكر. مكتبة الحلبي، مصر. الطبعة: الأولى، 1358هـ / 1940م.
- (2) الخصائص العامة للإسلام: 105. شيخنا الإمام يوسف القرضاوي. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. 1404هـ / 1983م.
- (3) ترتيب المدارك 1/ 179. مطبعة فضالة المحمدية. المغرب.
- (4) إعلام الموقعين 4/ 152. للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى. 1411هـ / 1991م.
- (5) ترتيب المدارك 1/ 178.
- (6) المرجع السابق: 1/ 144.
- (7) إعلام الموقعين 1/ 9.
- (8) إعلام الموقعين 1/ 69.
- (9) الموافقات للشاطبي: 5/ 41-43. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفا. الطبعة الأولى. 1417هـ / 1997م.
- (10) الموافقات: 5/ 177-178.

دليل على صلاحية الشريعة الإسلامية وخلودها وحاجة البشرية لها..

الاستنفار الفقهي في ظل جائحة «كورونا»



د. سليمان عامر

رئيس هيئة العلماء والدعاة بالمانيا، وعضو المكتب التنفيذي للمجلس الأوروبي للأئمة

من انتشار الفيروس؟
- هل تصح صلاة الجمعة في البيوت؟
- ما حكم الصلاة مع انقطاع الصفوف بمسافة متر ونصف متر؟
- ما واجب المسلم الاجتماعي في الواقع الأوروبي والعالمي؟
- ما حكم تغسيل المتوفى بالفيروس إن غلب على الظن العدوى؟
- ما حكم تقديم مريض على مريض آخر عند العجز عن مداواتهما معاً؟
- هل يجوز الإفطار بسبب فيروس «كورونا»؟

- كيف يصلي المسلمون التراويح في رمضان؟ هل تجوز الصلاة خلف البث المباشر؟
- هل يجوز القرض الربوي للمساجد والمؤسسات التي تضررت بسبب الفيروس؟
تلك الأسئلة أوجدت حالة من الحراك الفقهي والإفتائي والفكري والفلسفي، وكشف كثيراً من الحقائق وجوانب القوة والضعف عند عوام المسلمين ونخبهم، أهمها، في تقديري، الحرص العام من المسلمين على أمور دينهم؛ فكثير من المسلمين شرقاً وغرباً لم يستوعبوا أبداً أن يحرموا من صلاة الجمعة والجماعة بعد أن عاشوا عليها رداً من الزمان وتعلقت قلوبهم ببيوت الله تعالى.

لهذا كثر التفاتي حول أحكام الصلاة في ظل الجائحة، وتأمّلت الجماهير لعدم تمكنهم من الصلاة في المساجد. وانتاب الناس شعور بالخطر على الدين؛ فأقبلوا على البرامج الدعوية والتعليمية والتثقيفية والروحية التي نفرت لها المساجد والدعاة والمؤسسات الإسلامية حول العالم على نحو ألقى في النفوس الطمأنينة، وضاعف الثقة في العلماء والدعاة أنهم على قدر المسؤولية الكبيرة، وأن راية الدين والعلم والتربية ستجد من يحملها ويأخذها بحقها. وإذا كانت فتوى صلاة الجمعة في البيوت والصلاة خلف البث المباشر مخالفة لجماهير العلماء والمجامع الفقهية، فإن باعثها ومحركها هو الحرص على الناس

لا ريب أن واقع الأحداث والأزمات الكبيرة تفرض نفسها على العقل فتشجده، وعلى الهمة فتوقظها، وعلى العزائم فتتميمها، وعلى الإرادات فتقويها، وعلى الأخلاق فتلهبها، ثم هي في الوقت ذاته كاشفة ومُمتحنة لما سبق. ولم يسلم من هذا الاختبار صغير أو كبير، عالم أو مقلد، سياسي أو حزبي، كل على حسب قدره وبلائته، وتلك هي طبيعة النوازل والمدلهات.

منذ وقعت واقعة الفيروس الذي حاصر الدنيا وأربك العالم وعطل مسارات الحياة -وكأن القيامة قد قامت- انطلق العلماء والدعاة في الشرق والغرب في غيرة مُعجبة، وحماسة مُلهبة، وترشيد وتنقيف وتوعية جماهيرية، وحركة دائبة للتعاطي مع تلك الأزمة وما أفرزته من واقع تجلى على المشهد الديني والاجتماعي والاقتصادي، نجم عنه كثير من الأسئلة الفقهية والعقدية والأخلاقية. انطلق الفيروس المجنون من الصين وظن العالم في الغرب والشرق أنطه عنه بعيد، وانبرى بعض المسلمين شامتين مُعلّتين هذه الجائحة على ظلم أصاب المسلمين هناك، وحينما زحف على أوروبا دار جدل فقهي حول بعض المسائل، أبرزها وقف صلاة الجمعة والجماعات والمدارس والجامعات وغيرها، وفقدت الدول عوائدها الاقتصادية، وحصد الفيروس عشرات الألوف من الأرواح وأضعافهم من المصابين.

واقع جديد أنتج حالة لم يعيشها المسلمون من قبل باعتبار امتدادها آفاق الكرة الأرضية. وبرزت أسئلة وأجوبة كشفت مناحي القوة والضعف في الجانب المعرفي والثقافي والشرعي والأخلاقي والنفسي، منها:

- هل الفيروس عقاب من الله تعالى؟
- ما العلاقة بين القدر والأسباب؟
- هل ما وقع في الصين عقوبة لهم على ظلم المسلمين؟
- كيف نتعامل مع المصاب بفيروس «كورونا»؟
- هل يجوز تعطيل صلاة الجمعة وقاية

بديعة تلك الكلمة «الاستنفار»؛ فهي مستوحاة من اللفظ القرآني الشريف الوارد في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: 122)، فحين شرعت في كتابة هذا المقال حول الحالة الفقهية والإفتائية في ظل جائحة «كورونا» رأيت التعبير بها أجمل وأقرب وأرحب. نعم كان استنفاراً كاملاً على المستوى الفقهي والفكري والدعوي والتربوي والاجتماعي والميداني، ولكل منه مظاهر وتجليات، وهو حقيق أن نفرد له مقالات تُسلط الضوء على كل جانب، بيد أننا أردنا هنا إفراد الحديث عن أحد أهم هذه الجوانب لنقف على بعض معالمه ومظاهره وآثاره.

والخوف على الصغيرة.

وهذا الحرص وتلك العاطفة المقدرة كانت حاضرة خلف فكرة الصلاة المتباعدة في وقت اشتداد الأزمة وانتشار الفيروس، كحل من باب «أخف الضررين»، ولا ريب أن الفتوى بتعليق الصلوات هي الأصح والأسلم في ذلك الوقت.

النوازل تبعث على النظر والتأمل والمراجعة:

سألني الصحفي المعروف د. راين هيرمان، الكاتب في أحد أهم الصحف الألمانية «Frankfurte Allgemeine Zeitung»، قائلاً: ألا تنزعجون من الفتاوى التي تنتشر عبر الإنترنت من غير المختصين، سواء في ظل أزمة «كورونا» أو غيرها؟

قلت: لا أنزعج كثيراً؛ لأن البضاعة الجيدة تدفع الرديئة، ثم إننا نعيش عصر الثورة المعرفية المفتوحة، فهو سباق، ومن شأنه أن يصنع حالة من التدافع الإيجابي الذي يحرك العقول نحو النظر والتأمل والمراجعة والبحث واقتحام تلك الساحات، وفي يدك منتج علمي قادر على الظفر بالعقول والقلوب، وهذا دورنا وتلك مهمتنا.

إنني مغتبط بالدور الكبير الذي قامت به المؤسسات الإفتائية الجماعية والجهود الفردية؛ تأصيلاً وتقعيداً وترشييداً وتوجيهاً للمسلمين، للتعامل الأمثل مع تلك الجائحة ومقتضياتها، والإجابة عن أسئلة الجماهير.

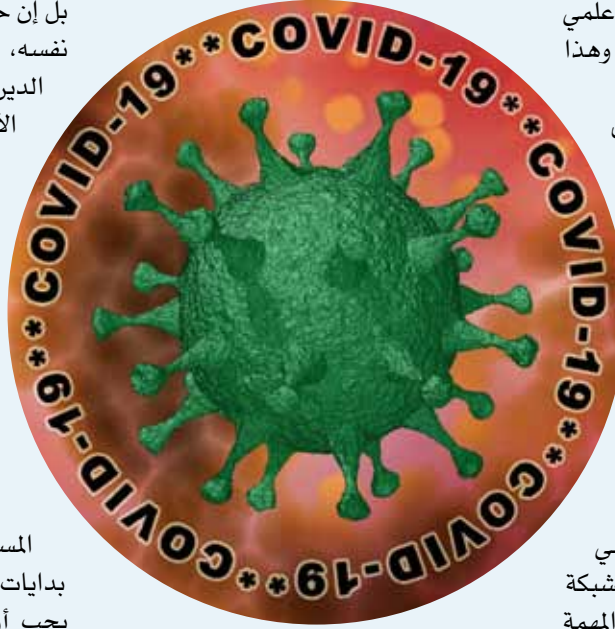
فقد قدم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث، وغيرهما من المؤسسات العلمائية والإفتائية حول العالم، جهوداً كبيرة سابقة، وعقد المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث دورتين متتاليتين عبر شبكة الإنترنت، وأصدر عدداً من الفتاوى المهمة التي تتعلق بالعبادات والمعاملات في ظل هذه الجائحة.

وهو جهد مشكور وله أجر موفور، على الرغم من ضعف الإمكانيات المادية والبشرية، غير أن الشعور بالمسؤولية والحاجة الماسة للبيان والتوجيه كانت دافعاً لبذل الجهود الفكرية وتقليب الرأي والاستجابة للنازلة ومقتضياتها.

أسئلة وأجوبة برزت في ظل الأزمة كشفت مناحي القوة والضعف في الجوانب المعرفية والشرعية والنفسية

الناس انتابهم شعور بالخطر على الدين فأقبلوا على البرامج الدعوية التي نفرت لها المساجد والمؤسسات الإسلامية

يجب أن يبرهن الاجتهاد الفقهي بالنوازل خاصة على حكمة التشريع الإسلامي ورعايته لمصالح العباد في الدارين



رعاية البعد المصلحي وأثره الرسالي:

يجب أن يبرهن الاجتهاد الفقهي في النوازل خاصة على حكمة التشريع الإسلامي ورعايته لمصالح العباد في الدارين، وقدرته على معالجة القضايا المتجددة. يُصدر كثير من العلماء كتاباتهم بهذه

العبارة الذهبية الجامعة لابن القيم التي افتتح بها كتابه العظيم «إعلام الموقعين»: «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل».

ومن الخطأ والعجز أن تكون المسافة كبيرة بين التنظير والتطبيق، وأبرز اختبار حقيقي للفقه المتشبع بمقاصد الشرع هو ميدان الحركة والأحداث والنوازل، وقد تجلى واضحاً في عدد من الفتاوى، مثل تعليق الجمعة والجماعات في ظل اشتداد أزمة «كورونا»، والفتوى بعدم صحة صلاة التراويح في رمضان خلف البث المباشر.

وحينما سألني الصحفي آنف الذكر عن سبب تعليق الجمعة والجماعات قلنا: إن حفظ النفس في سلم الضرورات مُقَدَّم على حفظ الدين في مرتبة الحاجيات أو التحسينيات، بل إن حفظ النفس هو من صلب حفظ الدين نفسه، فإن زهقت الأرواح فمن يقوم بحفظ الدين؟ ثم إننا حين نؤكد أن الدين يحفظ الأرواح والحياة، فإننا نؤكد ربايته وحاجة البشرية إليه ونرد الناس إليه ونذود عنه التهم والشبهات.

فتلك القواعد يجب أن تكون حاكمة لنا في النظر والتأصيل والاختيارات الفقهية، وقد أفتى المجلس الأوروبي بجواز ترك غسل المتوفى بفيروس «كورونا» إن غلب على الظن العدوى حفظاً لحق الحي وهو أولى وأجدر بالوقاية.

لذلك كنا ننتقد تهاون بعض المسلمين وتعجلهم في فتح المساجد في بدايات الجائحة، وقلنا مرات: إن الأديان يجب أن تكون سابقة للقرارات السياسية، فلا تتأخر أو تتهاون، بل تؤكد حفظ الحياة والدعوة بكل سبيل على أسباب الوقاية.

تأكيد خلود وصلاحيات الشريعة لكل زمان ومكان:

مبدأ لا يختلف عليه مسلمان: أن الإسلام جاء صالحاً لمعالجة قضايا كل عصر وكل بيئة، ولا ريب في ذلك، وصدق الله مولانا

بالجهات المختصة، وأنا لا أريد أن أطلب المؤسسات العلمانية الإفتائية حول العالم بنفس المقدار؛ وذلك لقلة المؤونة وضعف الإمكانيات المالية والبشرية، لكن المأمول والمنشود دوماً أن نلاحق الواقع ونتابعه على نحو دقيق، وحادينإ إليه أهل الاختصاص في كل فن.

وما أجمل عبارة ابن القيم الذي يؤكد فيها أهمية فهم الواقع، يقول رحمه الله: ولا يتمكن المفتي، ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والامارات والعلامات «حتى يحيط به علماً». **والثاني:** فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر.

ومن هناك كان القرار بفتح المساجد مع كافة الاحترازمات الصحية نابعا من القرارات الإدارية التي انطلقت من واقع الحال المؤسس على الدراسات والبحوث والإحصائيات.

في ختام هذا المقال، أؤكد أن ما أنتجته جائحة «كورونا» من حراك فقهي كبير كشف عن طاقات موفورة وقدرة على إدارة الأزمة عند المؤسسات العلمانية والإفتائية «المستقلة»، والتصدي لحاجات الناس والإجابة عن تساؤلاتهم، لكننا بحاجة إلى إحياء الفقه «الأرأيتي»؛ وهو الفقه الافتراضي أو النظر المستقبلي، ولا ريب أن فتاوى الضرورة مما تقرضه الحوادث وتقلبات الأيام.

ونرى أن الاجتهاد الجماعي أقوم قليلاً من الاجتهاد الفردي، وإن كان الأول لا يمنع الثاني ولا يحجر عليه، وحين نقلب النظر سنجد أن فتاوى المجامع الفقهية في جائحة «كورونا» أدق وأقرب لمقاصد الشرع ومصالح العباد من الاجتهادات الفردية.

ولا أدعي ولا غيري أن هناك عصمة لأحد بعد الله ورسوله، إنما هو تسديد ومقاربة، ثم بعد ذلك يبقى هامش المراجعة وتقليب الرأي والنظر، وتبقى دوماً قلوب وعقول أهل العلم والفقه منفتحة للنصيحة، وتبقى ساحات النقاش فسيحة وفق آداب الاختلاف التي ورثناها عن عظمائنا الفقهاء الذين شيّدوا من سعة العلم والخلق والأدب ما يسع الناس جميعاً. ■

حِفْظُ النَّفْسِ مِنْ صَلَبِ حِفْظِ الدِّينِ نَفْسَهُ فَإِنْ زُهِقَتْ الْأَرْوَاحُ فَمَنْ يَقُومُ بِحِفْظِ الدِّينِ؟!

أعظم ما يعين المجتهدين في وقت الأزمات النصوص الكلية القرآنية والقواعد الأصولية والفقهية الجامعة

فقه الموازنة بين الأعمال والتصرفات، ويقدر المصالح والمفاسد؛ فيقدم المصلحة الغالبة على المفسدة، ويتحمل أخف الضررين وأهون الشرين.

ولا ريب أنه معترك دقيق يتداخل فيه الشرعي والإنساني والطبي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي.

البعد الواقعي وأثره في تغير الفتوى: الفتوى هي ثمرة تفاعل النص مع الواقع، ويقدر الإحاطة بهذا الواقع ومعرفة تكون الفتوى أقرب للصواب، وليس ثمة واقع أشد تعقيداً من زماننا، والحكم على الشيء فرع من تصوره، والتسرع في بعض الفتاوى كان أحد أهم أسبابه ضعف تصور المسألة، وخطأ بعض المعلومات، وعدم اللجوء إلى أهل الاختصاص، وقد عقد الإمام ابن القيم فصلاً في باب تغير الفتوى وعد من أسباب تغيرها ستة، وأضاف العلامة الإمام القرطبي أربعة في كتابه «موجبات تغير الفتوى».

وكلما كان المفتي أو المجالس الإفتائية قريبة من الواقع بأبعاده النفسية والاجتماعية والاقتصادية والمالية؛ كانت الفتوى أقرب للحق وأرعى للمصلحة وأرجى للنفع.

لكن الصعوبة هنا في التغير المتسارع للواقع خاصة عند الأزمات، فقد تابعنا وما زلنا كيف أدارت ألمانيا كنموذج ناجح أزمة «كورونا»، فكان القرار السياسي مرهوناً

كلما كانت المجالس الإفتائية قريبة من الواقع كانت الفتوى أقرب للحق وأرعى للمصلحة

العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)، ورحم الله الإمام الشافعي حين قال: «وليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها».

وعمل المجتهدين هنا: الكشف عن مراد الله تعالى في المسألة رجاء إصابة الأجرين عند الصواب أو الأجر عند الخطأ.

ومن أهم ما يُنجد الفقيه أن الشريعة اشتملت أصولاً وقواعد كلية مرنة تُسعف المجتهدين بالنظر في المستجدات والنوازل، يقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور في كتابه «مقاصد الشريعة»: «فعموم الشريعة لسائر البشر في سائر العصور مما أجمع عليه المسلمون، وقد أجمعوا على أنها مع عمومها صالحة للناس في كل زمان ومكان، وهي عندي بكيفيتين:

الأولى: أن هذه الشريعة قابلة بأصولها ووكلياتها للانطباق على مختلف الأحوال، بحيث تسائر أحكامها مختلف الأحوال دون حرج ولا مشقة ولا عسر.

الثانية: أن يكون مختلف أحوال العصور والأمم قابلاً للتشكيل على نحو أحكام الإسلام دون حرج ولا مشقة ولا عسر، كما أمكن تغيير الإسلام لبعض أحوال العرب والفرس والقيط والبربر والروم والتتار والهنود والصين والترك من غير أن يجدوا حرجاً ولا عسراً في الإقلاع عما نزعوه من قديم أحوالهم الباطلة».

ولعل أعظم ما يعين المجتهدين في وقت الأزمات النصوص الكلية التي وردت في القرآن الكريم، والقواعد الأصولية والفقهية الجامعة التي تتخرج عليها المسائل الجزئية، فقواعد الضرورة والرخص هي التي أُلجأتنا إلى القول بتعليق الجمعة والجماعات، وترك تغسيل الميت المصاب بالفيروس والدفن في مقابر غير المسلمين عند انعدام المقبرة الخاصة بالمسلمين، وقاعدة أخف الضررين وأهون الشرين جعلتنا نريد الفتح التدريجي للمساجد والصلاة مع انقطاع الصفوف أولى من تركها وبعيد الناس عن المساجد زمناً طويلاً.

وهذا هو الفقه الذي يدخل إلى القلوب بغير استئذان، كما عبر عن ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله، ذلك الفقه الذي يستحضر المقاصد والمعاني في معالجة النوازل والمستجدات، ويعتبر مراتب الأعمال، ويُفعل

أحداث الانقلاب في تركيا من جديد

الانقلابات العسكرية جزء لا يتجزأ من تاريخ تركيا الحديث؛ ذلك أنه بالإضافة إلى عشرات التدخلات غير المباشرة في الحياة السياسية من قبل المؤسسة العسكرية منذ تأسيس الجمهورية، عانت البلاد من 5 انقلابات عسكرية مباشرة، كان آخرها عام 2016م دبره ما يعرف بـ «التنظيم الموازي»، أو القيادة المتنقلة في جماعة «كولن».

وقد ساد اعتقاد محق بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة صيف 2016م وما حوته من أحداث وتضمنته من دلالات بأن تركيا قد أغلقت باب الانقلابات العسكرية إلى غير رجعة، لكن بعض التصريحات السياسية أعادت الأجندة السياسية في البلاد مؤخراً للحديث عن الانقلابات واحتمالاتها.



د. سعيد الحاج

محلل سياسي مختص بالشأن التركي

تصريحات لقيادات حزب الشعب الجمهوري بأن «أردوغان» ذاهب قريباً بصناديق الانتخابات أو بطريقة أخرى

من غير المتوقع أن يكون هناك من يخطط لانقلاب عسكري ثم ينسف عنصر المباغنة بتسريب الأمر للإعلام

التصريحات تمثل ضغطاً على «أردوغان» وحزبه.. ودغدغة لمشاعر أنصار «الشعب» باقترب وصولهم للسلطة

القيام بانقلاب عسكري وفرص نجاحه واحتمالية وقوعه أقل بكثير من السابق

يخطط لانقلاب عسكري ثم ينسف عنصر المباغنة فيه بتسريب الأمر إلى سياسيين، ثم إلى الإعلام والرأي العام، عبر تصريحات سياسية كيدية على لسان المعارضة، كما أن البلاد ليس فيها ما يهيئ الأوضاع لانقلاب عسكري كما كان يحصل سابقاً بشكل عفوي أو متعمد، مثل الانسداد السياسي أو الاحتراب الأهلي أو الأزمات الاقتصادية الكبيرة.

لذا؛ يصح قول الحزب المعارض بأن تصريحات قياداته لا علاقة لها بانقلاب عسكري وشيك، لكن ذلك لا يعني أيضاً أنه لن يكون سعيداً لو حصل، ذلك أن تاريخه مرتبط إلى حد كبير بالانقلابات العسكرية السابقة، على الأقل من زاوية الرضا بها -حيث أطاحت بمنافسيه عادة- والتعامل معها أو من باب أنه يمثل النخبة العلمانية السياسية المتحالفة مع المؤسسة العسكرية في الوصاية على الجمهورية التركية.

تصريحات مقصودة

الأهم أن التصريحات التي أدلى بها بعض مسؤولي الحزب تبدو مقصودة لذاتها، ومطلوب منها أن توحى بما أوجت به، فالحزب يرى في ذلك -على ما يبدو- ضغطاً على «أردوغان» والعدالة والتنمية، وإضافة إلى ذلك -ولعل ذلك هو الأهم- يدغدغ مشاعر أنصاره وكوادره ويعطيهم

وردت تصريحات على ألسنة بعض قيادات حزب الشعب الجمهوري، أكبر أحزاب المعارضة، في إطار تقييم أداء الحكومة مؤخراً وخصوصاً في مواجهة وباء «كورونا» تبشّر أنصار الحزب بأن «أردوغان» ذاهب قريباً، بصناديق الانتخابات أو بطريقة أخرى.

هذه الإحالة إلى «طريقة أخرى» غير صناديق الانتخابات أحدثت ضجة كبيرة، وسيطرت على النقاش السياسي والإعلامي في البلاد على مدى أسابيع، ذلك أن بلداً مثل تركيا من الصعب تفسير كلمة «بطريقة أخرى» فيه بعيداً عن شبح الانقلابات العسكرية، فهل هددت المعارضة «أردوغان» وحزب العدالة والتنمية بانقلاب عسكري صريح؟

تقول مصادر الحزب المعارض: إن تصريحاتها لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالتهديد بانقلاب، وأن ذلك ما حاول الحزب الحاكم إيهام الناس به للتغطية على المشكلات الأساسية للبلاد وخصوصاً الأزمة الاقتصادية في ظل «كورونا»، مؤكداً أن حزبهم كان وما زال وسيبقى ضد الانقلابات العسكرية.

عدم اقتران تلك التصريحات بانقلاب عسكري وشيك يبدو أمراً منطقيّاً؛ ذلك أنه من غير المتوقع أن يكون هناك في المؤسسة العسكرية -على رأسها أو ضمن قياداتها- من



غياب أي ذريعة واضحة للتدخل في الحياة السياسية، من قبيل الاحتراب الأهلي أو الانسداد السياسي كما أسلفنا، يمكن القول: إن القيام بانقلاب عسكري بات أصعب بكثير، وفرص نجاحه أضعف بكثير؛ وبالتالي احتمالية وقوعه أقل بكثير من السابق.

سد الثغرات

بيد أن ذلك لا ينفي بالمطلق هذه الاحتمالية؛ فالفلسفة التي سادت في المؤسسة العسكرية لعشرات السنين، التي تقيد بأنها من بنت الدولة وبالتالي هي الوصية عليها، من الصعب تغييرها تماماً خلال 18 عاماً هي فترة حكم العدالة والتنمية، كما أن التفكير بانقلاب عسكري تحكمه عادة المغامرة والمقامرة أكثر من التفكير العقلاني والحسابات المنطقية.

ولذلك، إلى جانب الحذر وزيادة منسوب الوعي في الشعب، ثمة حاجة ملحة لسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها التفكير بانقلاب عسكري؛ ما يعني الحاجة للعودة بزخم إلى مسار الإصلاحات الذي عرف به العدالة والتنمية، ورفع منسوب الحريات، ومعالجة الأزمة الاقتصادية وارتداداتها على المواطن، فضلاً عن ترسيخ ثقافة التعددية السياسية وتخفيف حدة الاستقطاب.

فإذا ما اجتمعت الخطوات الدستورية والقانونية السابقة، مع وعي الشعب وحرص الحكومة، جنباً إلى جنب مع سد الثغرات التي قد يستغلها المغامرون، فحينها يمكن القول: إن احتمالات حصول انقلاب عسكري في البلاد ستكون بالحد الأدنى، وإن فرص نجاحه لن تكون كبيرة إن حصل. ■

مع الحذر المطلوب ثمة حاجة ملحة لسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها التفكير بانقلاب عسكري

يصعب التوصل لانقلاب جديد؛ ذلك أنها كانت دموية أكثر مما سبقها من انقلابات، ونزل الشعب خلالها لأول مرة إلى الشوارع ليشترك بنفسه في مواجهة الانقلابيين، فضلاً على أنها فشلت عكس الانقلابات الأربعة الناجحة قبلاً، يرجح ذلك أن أي محاولة انقلابية مقبلة ستواجه أضعاف ما واجهته الأخيرة من رفض شعبي ونزول للشارع؛ الأمر الذي يعني تكلفة أكبر بكثير لأي محاولة من هذا النوع.

يضاف هذا للخطوات الدستورية والسياسية السابقة التي أخضعت المؤسسة العسكرية للقيادة السياسية المنتخبة من الشعب، وفي مقدمتها تعديل المادة الدستورية المتعلقة بمهام المؤسسة العسكرية وصلاحياتها، وتعديل بنية مجلس الأمن القومي ليصبح ذا أغلبية سياسية، فضلاً عن تحويل قراراته لتوصيات استشارية غير ملزمة، وصولاً لتغيير بنية مجلس الشورى العسكري الأعلى الذي أصبح كذلك ذا أغلبية مدنية، رغم اختصاصه بعمليات الترقية والتسريح في الجيش إضافة لمنظومته التوجيهية.

فإذا ما وضعنا في الحسبان كذلك

أملاً بالوصول للسلطة أخيراً بعد الغياب عنها لعقود، ويوفر كذلك مادة للجدل السياسي والحضور الإعلامي للحزب يمكن أن يلقي بظلالها على أداء الحكومة المرضي عنه عموماً في مواجهة جائحة «كورونا».

رد العدالة والتنمية كان سريعاً وحاداً وحاسماً، اتهم «أردوغان» حزب الشعب الجمهوري بدعم الأفكار الانقلابية لإسقاط الحكومة بعد الفشل في منافستها سياسياً أو تغييرها انتخابياً، وشن عليه حملة واسعة عبر عدة مسؤولين في الحكومة والحزب الحاكم، كما أن وسائل التواصل الاجتماعي اشتعلت في البلاد، خاصة من أنصار العدالة والتنمية وممن واجهوا المحاولة الانقلابية الأخيرة في الشوارع بأنفسهم، رفضاً لمنطق الاستتجاد بالتدخلات العسكرية لحسم التنافس السياسي في البلاد.

ولئن كان العدالة والتنمية محقاً في رفضه الحاسم لأي تلميحات بخصوص انقلاب عسكري محتمل في البلاد؛ لما يتعلق به كحزب حاكم، وكذلك لما قد يجره على البلاد من ويلات، إلا أنه لا يمكن إغفال فكرة استثماره تلك التصريحات للضغط أكثر على الشعب الجمهوري وزيادة التفاف أنصاره هو خلف قيادة «أردوغان»، فضلاً عن تحويل الأجندة السياسية والإعلامية في البلاد قليلاً عن وباء «كورونا» وتداعياته الاقتصادية على وجه التحديد.

لكن يبقى الأهم من تصريحات الشعب الجمهوري الفكرة التي أوحى بها، وهي احتمال حدوث انقلاب عسكري.. فهل ثمة احتمال كهذا؟

لا شك أن المحاولة الأخيرة الفاشلة كانت محطة إضافية على مسار طويل

«سد النهضة» الإثيوبي..

وما وراء ثَـعْثِ المفاوضات

روضة علي عبدالغفار

صحفية وكاتبة في الشأن الأفريقي



ترجع الأصول التاريخية لفكرة «سد النهضة» إلى أربعينيات القرن العشرين، عندما حدد مكتب الاستصلاح الأمريكي 26 موقعاً لإقامة سدود في إثيوبيا، على رأسها أربعة سدود على النيل الأزرق، كان ضمنها «سد النهضة» الحالي، وأقدمت إثيوبيا على إنشاء السد نظراً لما تعانيه من مشكلات مع المياه بسبب طبيعتها الجغرافية والجيولوجية، وصعوبة التضاريس التي تمنع نقل المياه حال تخزينها، وطبيعة الصخور البركانية وتأثيرها على إمكانات تخزين المياه ونوعيتها، وضعف تكوين مياه جوفية، وتكرار مواسم الجفاف. ومنذ اللحظة الأولى التي طرح فيها رئيس الوزراء الإثيوبي الأسبق «ميلييس زيناوي» التعجيل بتنفيذ مشروع «سد النهضة»، ارتكز خطاب الدولة على بث روح وطنية للاحتشاد في وجه تهديدات خارجية تقوم بها قوى لا تريد نهضة إثيوبيا، والإشارة في هذا الخطاب كانت تذهب بطبيعة الحال إلى مصر التي تؤكد حقوقها بمياه النيل، ودفع هذا الخطاب بحملة

على أطول أنهار العالم ينشب النزاع، وعلى مياه النيل تقف الدول الأفريقية الثلاث؛ تقول مصر والسودان: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وترد إثيوبيا: تجري الرياح كما تجري سفينتنا، نحن الرياح ونحن البحر والسفن! بعد سلسلة طويلة من المفاوضات أصبحت أزمة «سد النهضة» أشد تعقيداً وجموداً؛ بسبب التباين الشديد في مصالح الأطراف المعنية، فنتائج الجولات تصب في مصلحة إثيوبيا التي ترى السد نقلة نوعية ستخرج البلاد من مأزقها الاقتصادي، في حين تؤكد مصر والسودان الحقوق التاريخية لهما في مياه النيل؛ وأن السد سيحرهما من قدر كبير من المياه وسيقلل توليد الكهرباء من السد العالي وسدود السودان.

لماذا تعثرت المفاوضات بشأن «سد النهضة»؟ وما الذي أضافه تدخل واشنطن بعملية التفاوض؟ وما الخيارات المتاحة لكل من مصر والسودان؟ وهل يمكن أن تنجرف الأطراف للحل العسكري؟ في هذا التحقيق نتعرض لهذه القضايا.

القاهرة راهنت على إنقاذ الوساطة الأمريكية لها وهو ما تحقق لوقت قصير قبل أن يتحول لمأزق أكثر خطورة

بعد رفض إثيوبيا الوساطة عادت عملية التفاوض إلى المربع الأول وازداد الموقف تعقيداً

وبالتالي، لم يمس البيان الأمريكي موضع الخلاف بين رؤيتي مصر وإثيوبيا، إذ ترفع مصر مبدأ الحقوق التاريخية، وتستند إلى اتفاقها مع السودان عام 1959م، في حين ترفع إثيوبيا مبدأ الحق في التنمية المتكافئة، وترفض أن تلزمها أي معاهدات ترى فيها تعطيلاً لهذا الحق، واكتفى البيان بعبارة دبلوماسية عن «الاحترام المتبادل لحقوق بعضها بعضاً في مياه النيل».

ومن جهته، يقول د. حمدي عبدالرحمن، رداً على تعثر المفاوضات بوساطة واشنطن: إن المشكلة في اتفاق «إعلان المبادئ» أنه يحدد الوساطة أسلوباً وحيداً لتسوية المنازعات بين الدول الثلاث، على أن الخطوة المصرية بنقل الملف إلى واشنطن ثم الجامعة العربية يمثل ضغطاً على إثيوبيا، ويكشف تعنتها أمام الرأي العام العالمي، ولا يمكن لإثيوبيا أن تقوم بملء وإدارة السد بإرادتها المنفردة سواء طبقاً لـ «إعلان المبادئ» أو قواعد القانون الدولي، كما أن واشنطن تربط عملية الملء بالتوقيع على الاتفاق النهائي.

بينما يوضح الباحث صالح، لـ «المجتمع»، أن واشنطن ستكون في مأزق حقيقي؛ لأنها لم تستطع إرغام إثيوبيا على قبول المسودة التي أعدها خبراء وزارة الخزانة الأمريكية والبنك الدولي، وبالتالي مخرجات الوساطة التي قادتها صفر، كما أن هناك دوائر أمريكية عديدة تعارض موقف إدارة «ترمب» ومحاولة إرغام إثيوبيا بالقبول بمسودة الاتفاق، كما أن ممارسة أي ضغوط على الجانب الإثيوبي سيبدأ بينها وبين واشنطن، حيث تجمع بينهما أجندة إقليمية مهمة في القرن الأفريقي بشكل خاص.

ما وراء موقف إثيوبيا

بعد كل فشل يعقب جولة تفاوضية، كان الطرفان يتبادلان توجيه أصابع الاتهام، فالجانب الإثيوبي يتهم الجانب المصري بتعمد تعطيل المشروع؛ ومثال ذلك عندما اشترطت مصر على إثيوبيا عند ملء سدها ألا يقل ارتفاع المياه في بحيرة ناصر خلف السد العالي عن 165 متراً؛ وهو ما رآته إثيوبيا مستحيلًا، إذ يعني ذلك إطلاق 40 مليار متر مكعب من مياه النيل الأزرق سنوياً، وهي نسبة ستعطل بلوغ المعدلات المطلوبة لملء الخزان المائي خلف «سد النهضة»، وقد وصفت



د. حمدي عبدالرحمن عباس محمد صالح

في حين يرى د. حمدي أنه على الرغم من الانسحاب الإثيوبي من مفاوضات واشنطن، فإن هناك فرصة لاستئنافها بعد إجراء الانتخابات الإثيوبية، في أغسطس 2020م، وأن الولايات المتحدة لا تزال ملتزمة بالوساطة لحين التوصل إلى اتفاق نهائي.

الوسيط الجديد

على الرغم مما يبدو على السطح من أن واشنطن دخلت على خط الأزمة استجابة لطلب مصر، فإنها ليست المرة الأولى التي تحاول فيها واشنطن القيام بدور في قضية «سد النهضة»؛ إذ حاولت عرض خبرتها في إدارة «سد هووفر»، أكبر سدودها، على وزير الري في مصر وإثيوبيا، كما زار مساعد وزير الخارجية لشؤون أفريقيا «تيمور ناجي» البلدين، واستمع إلى إفادات المسؤولين بشأن موقفيهما من الأزمة، والباقي أن مشاورات مصرية أمريكية جرت سابقاً فيما يتعلق بإمكانية قيام واشنطن بدور رئيس في العملية التفاوضية.

كانت واشنطن حريصة ألا يبدو تدخلها إنهاءً لمسار المفاوضات الثلاثية بين مصر وإثيوبيا والسودان، وأعلنت دعمها لهذه الجهود، وقال بيان خارجيتها: «إن لكل بلدان وادي النيل الحق في التنمية الاقتصادية والازدهار، ولأجل ذلك على جميع الأطراف إظهار النوايا الطيبة بغية التوصل إلى اتفاق يحفظ تلك الحقوق، مع إيلاء الاحترام المتبادل لحقوق بعضها بعضاً في مياه النيل»، وهو البيان الذي رحبت به الرئاسة في مصر على لسان المتحدث باسمها.

واشنطن حرصت ألا يبدو تدخلها إنهاءً لمسار المفاوضات الثلاثية بين مصر وإثيوبيا والسودان

استكتاب كبرى لتمويل السد ذاتياً؛ ما أغرى النظام في أديس أبابا بالظن أن في إمكانه استثمار السد لاستعادة بعض من جماهيرية مفقودة كانت قد غيبتها الأزمات الاقتصادية والاحتجاجات المتوالية.

وفي هذا السياق، يقول د. حمدي عبدالرحمن، أستاذ العلوم السياسية بجامعة زايد والقاهرة، في تصريحات لـ «المجتمع»: إن أسلوب المرافعة والماطلة يمثل نهجاً إثيوبياً متواتراً منذ أن بدأت أديس أبابا في عهد «ميليس زناوي» من جانب واحد في بناء «سد النهضة» الإثيوبي، في أبريل 2011م، ومنذ ذلك الحين، أجريت سلسلة من المفاوضات بين إثيوبيا ومصر والسودان على مستوى الخبراء والوزراء ورؤساء الدول، وذلك من أجل التوصل لاتفاق ينظم مسألة ملء وتشغيل السد ومعالجة الآثار السلبية المحتملة على دولتي المصب.

وفي أواخر فبراير الماضي، فشلت المفاوضات بوساطة واشنطن، ولم تتجح في تسوية النزاع القائم بين مصر والسودان وإثيوبيا، وانسحبت إثيوبيا من طاولة المفاوضات، وازدادت إصراراً على حقها بمياه النيل، وأعلنت أنه لا قوة يمكن أن تمنعها من بناء السد.

يضيف عباس محمد صالح، الباحث في الشؤون الأفريقية، لـ «المجتمع»: إن الأطراف قبلت وساطة واشنطن، في نوفمبر الماضي، بعد وصول جولات التفاوض لطريق مسدود، وكان لمصر مقصد يختلف عن إثيوبيا بخصوص هذه الوساطة؛ فالقاهرة راهنت على أن تكون الوساطة الأمريكية بمثابة المنقذ لها، وهو ما تحقق لوقت قصير قبل أن تتحول إلى مأزق أكثر خطورة، بينما قبلت أديس أبابا بهذه الوساطة؛ لأنها لن تتنازل عن ثوابتها المستندة إلى «إعلان المبادئ»، الموقع في أغسطس 2015م بالخرطوم، كما أن الطرفين المصري والإثيوبي يختلفان في تفسير كثير من القواعد الحاكمة للتفاوض بينهما.

ويرى الباحث صالح أن بعد إعلان إثيوبيا رفضها مسودة الوساطة تكون بذلك عملية التفاوض حول «سد النهضة» قد عادت إلى المربع الأول، وازداد الموقف تعقيداً؛ فإثيوبيا سترفض أي مبادرة تتعارض مع ثوابتها فيما تراه حقها المطلق في استخدام موارد المياه دون الإضرار بمصالح الآخرين.



حالة العالم الإسلامي

القاهرة موقف إثيوبيا بـ «المتعنت»، في حين وصفت أديس أبابا المطلب المصري بأنه «عبور للخط الأحمر».

إن بواعث إثيوبيا لتحدي الموقف المصري كثيرة، لكن يبقى أهمها هو الطموح الاقتصادي، فالدولة التي عانت عقوداً من التراجع الاقتصادي الحاد، يحدها أمل في تبوؤ قمة سوق تصدير الطاقة الكهربائية في أفريقيا؛ إذ يعد «سد النهضة» بتوليد ما مقداره 6450 ميجاوات من الكهرباء، وتوقع إثيوبيا أن المردود الاقتصادي لهذه الكمية سيدفع باقتصادها إلى مستوى البلدان المتوسطة الدخل بحلول عام 2025م، وبهذا فإن تكلفة السد العالية التي تناهز 5 مليارات دولار أمريكي، تبقى تكلفة سهلة في نظر الإثيوبيين، نسبة إلى ما سيدر عليهم من عوائد.

ويزيد من رغبة إثيوبيا في الإسراع بإنجاز هذا السد؛ إقبال الدول المجاورة لها على طلب الكهرباء، وتوقيع عدد منها عقوداً طويلة الأمد، منها: كينيا، والسودان، وجيبوتي، وجنوب السودان.

فليس مستغرباً أن يصور الخطاب الوطني الصاعد في إثيوبيا المتعلق بمشروع «سد النهضة» على أنه قفزة صوب الحداثة، ونقل نوعية ستخرج البلاد من مأزقها الاقتصادي الممتد، وحتى بين الخبراء الدوليين ثمة من يربط بين المشروع وقدرة إثيوبيا على استعادة الاستقرار ووقف الاضطرابات التي تضرب البلاد منذ أكثر من عقدين.

الخيارات المتاحة لمصر والسودان

أوضح د. حمدي، لـ «المجتمع»، أن تصوّر مصر الرسمي والشعبي هو أن السد يمثل تهديداً لأمنها المائي، في حين يبدو السودان أقل قلقاً لإمكانية تعظيم فوائده من مصادر المياه والطاقة؛ فوافق السودان ضمناً على رغبة إثيوبيا في بناء السد، متوقعاً فوائد جمة من وجود سد قريب من حدوده يمكنه من السيطرة على الفيضانات وتنظيم مستويات المياه طوال العام، ومع ذلك ظلت مخاوف دولتي المصب ترتبط بمعدل الملء الأول للسد وتشغيله، وإمكانية انهيار السد المحتملة بالإضافة إلى آثاره البيئية.

وبقيت مصر تتبنى موقفها في الخلافات

نقل مصر الملف إلى واشنطن والجامعة العربية يمثل ضغطاً على إثيوبيا ويكشف تعنتها أمام الرأي العام العالمي

تكلفة بناء السد العالية تبقى سهلة في نظر الإثيوبيين نظراً إلى ما سيدر عليهم من عوائد

بأنه يتعين إدارة آثار وتبعات الجفاف بعناية، وأنه ينبغي معالجة احتمالاتها بشكل صريح في المفاوضات الجارية بشأن مياه النيل.

ويصرح د. حمدي، لـ «المجتمع»، أن البديل الأفضل -من وجهة نظره- هو العمل بجدية على وضع إطار مؤسسي شامل للإدارة المتكاملة لموارد النيل وتطويرها لمصلحة جميع الدول المشاطئة، وتبدو مسودة الاتفاقية معقولة بما يكفي لتقسيم عملية ملء السد وتشغيله على مرحلتين، كما أن هناك توافقاً كبيراً حول المرحلة الأولى من ملء الخزان ليصل إلى ارتفاع 595 متراً فوق سطح البحر من أصل 632 متراً، وهي تستغرق نحو عامين، مما يمنح مصر والسودان وإثيوبيا فرصة من الوقت لصياغة إطار تعاون أكثر شمولاً ولا سيما في حالة تأجيل اختبار السد وبدء الملء الأول إلى موسم الفيضان القادم في عام 2021م.

ويضيف أنه من الناحية المثالية يجب أن تكون الاتفاقية شاملة بما فيه الكفاية لتوفير إطار تعاوني لإدارة -ليس فقط «سد النهضة»- وإنما غيره من المشاريع المستقبلية المحتملة على النيل، في هذه الحالة يمكن الاعتماد على المعايير الدولية لإدارة المياه عبر الحدود، والاستفادة من التجارب الأخرى الناجحة؛ مثل لجنة نهر الميكونج في جنوب شرقي آسيا.

وتظل خيوط التفاوض قائمة، ويبقى الأمل عنواناً للشعوب؛ شعب يأمل في عدم انتقاص حقه من الماء، وشعب يريد التنمية والازدهار، وبين هذا وذاك؛ هل نرقب تسوية قريبة تُرضي أطراف النزاع ويَعْم بها السلام في المنطقة، أم يحمل لنا المستقبل المزيد من المفاجآت؟

بشأن تقسيم مياه النيل على مبادئ ثلاثة؛ أولها: مبدأ الحقوق التاريخية وأولوية احترامها من بلدان المنابع؛ تطبيقاً لمبدأ وراثة الالتزامات الدولية، وثانيها: تغليب مبدأ النيات الحسنة وعدم الإضرار، عبر الإخطار المسبق بأي إنشاءات ومشروعات تؤثر في تدفقات النهر، وثالثها: مبدأ الإجماع يجعل أي تصويت يتعلق بتعديل الاتفاقيات الدولية محكوماً بتوافق تام بين بلدان المصب وبلدان المنابع.

وتعاملت مصر مع هذه المبادئ باعتبارها محدّدات لأمنها المائي.

وبعد تعثر مفاوضات واشنطن، سعت مصر إلى أداة ضغط جديدة، فأحالت القضية إلى جامعة الدول العربية، وأكدت الجامعة، في 4 مارس 2020م، حقوق مصر التاريخية في مياه النيل، ورفض أي إجراءات أحادية إثيوبية، في حين رأى السودان أن القرار ليس في مصلحته ولا يجوز إقحام الجامعة العربية في هذا الملف، وأبدى تخوفه مما قد ينتج عنه هذا القرار من مواجهة عربية لإثيوبية، وبالمقابل ردت مصر أن الجانب السوداني سعى إلى إفراغ مشروع القرار من مضمونه.

وتعليقاً على هذا الموقف، يقول الباحث صالح: إن تحفظ السودان كان موضوعياً ومتسقاً مع مواقف الحكومات السودانية التي تعاقبت منذ بدء مسار التفاوض حول «سد النهضة»، ولكن المشكلة تكمن في طبيعة الإدراك المصري للسودان كبذل، وإدراك قضية السد كقضية مصيرية يجب أن يراها العالم من هذا المنظور، وكذلك الإدراك المصري لدورها الإقليمي الذي ظل مؤخراً يتغير، بينما هو ثابت لا يتزعزع في عقل نخبة الدولة المصرية، وهذا ما يفسر كل ردود الفعل الغاضبة والانفعالية هذه.

وبصدد إمكانية استمرار الحل الدبلوماسي أو الانجرار للحل العسكري، يوضح د. حمدي أنه على الرغم من مقولة حروب المياه، فإنها لم تحدث، ومن ثم التعويل على الحل الدبلوماسي لا يزال يمثل المخرج الآمن للجميع، فالمشكلة الأساسية المتعلقة بـ «سد النهضة» تتمثل في سنوات الجفاف الطويل والشديد التي من شأنها أن تخلق مخاطر على تدفقات المياه أثناء وبعد ملء «سد النهضة»، ونظراً لأن الجفاف المطول سيحدث حتماً في مرحلة ما في المستقبل، يجادل كثير من خبراء المياه

العصا الغليظة..

حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية

بيانات الكتاب:

عنوان الكتاب: العصا الغليظة..

حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية.

المؤلف: إيليوت كوهين.

ترجمة: د. فواز زعرور.

الناشر: دار الكتاب العربي (بيروت- لبنان).

سنة النشر: الطبعة الأولى 2018م.

عدد صفحات الكتاب: 313 صفحة القطع الكبير.

إيليوت كوهين

العصا الغليظة

حدود القوة الناعمة حتمية القوة العسكرية

ترجمة د. فواز زعرور

هذا الكتاب:

يتطرق هذا الكتاب -الذي جاء في مقدمة وثمانية فصول- إلى القضايا التي تفسح المجال أمام ظهور تلك النزعة من الشك والارتياب؛ فهو يتساءل عن ماهية الدور الذي ينبغي للقوات المسلحة أن تمارسه في السياسة الخارجية الأمريكية، ويستكشف آفاق استخدامات تلك القوة وحدودها.

ويطرح المؤلف عدة أسئلة محورية بهذا الصدد، منها:

- ما الدروس والعبر التي جرى استخلاصها من عقد ونصف العقد من الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة الأمريكية، التي مُني معظمها بالفشل؟
- من هم الخصوم الرئيسيون الذين يتوجب على الولايات المتحدة مواجهتهم من خلال التلويح بالقوة أو استخدامها؟
- ما أدوات القوة الخشنة التي بمقدور الولايات المتحدة ويتوجب عليها امتلاكها واستخدامها؟

تحدّث بلين وتسَلَّح بعضا غليظة

في المقدمة التي جاءت بعنوان «الواجبات الوطنية»، تحدّث المؤلف عن خطاب نائب الرئيس الأمريكي «تيودور روزفلت»، في سبتمبر 1901م، في حشد كبير من مؤيديه في ولاية مينيسوتا، الذي تحدّث فيه عن دور

القوة الناعمة وحدها لها

تأثيرات محدودة وتداعيات

لا يمكن للقادة الأمريكيين

السيطرة عليها

الصين تمثل اليوم مشكلة

إستراتيجية ليست لها سابقة

حقيقية في التاريخ الأمريكي

الولايات المتحدة كأمة عظيمة تجاه الأمم الأخرى، ولخص سياسة أمريكا في المثل القائل: «تحدّث بلين وتسَلَّح بعضا غليظة؛ فالطريق أمامك طويل»، موضحاً أنه في الوقت الذي يتسم فيه خطابنا بالاعتدال دائماً، مستعدون وقادرون على تحويل الجمعية إلى طحين.

وهنا يشير «كوهين» إلى أن القوة العسكرية داعم أساسي للسياسة الخارجية الأمريكية، ويشير إلى أن العديد من الأمريكيين يوافقون على وجوب أن تمارس الولايات المتحدة ذلك الدور في العالم، وهناك غالبية لا بأس بها تعارض هذا الرأي؛ فقد أظهر أحد استطلاعات الرأي، التي أجريت عام 2014م، أن نصف أولئك الذين شملهم الاستطلاع تقريباً وافقوا على ضرورة أن تنصرف الولايات المتحدة إلى شؤونها الخاصة دولياً، وترك بقية البلدان تشق طريقها على النحو الأمثل وفق قدرات وإمكانات كل منها.

هكذا رآه «كوهين» في معرض حديثه عن حدود القوى الناعمة وضرورة استخدام القوة العسكرية، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب صدر مع بداية تولي الرئيس الأمريكي «دونالد ترمب» الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، ويتصفّحه نجد أن «كوهين» يتناول في البداية شرحاً لأبرز التهديدات العالمية التي دفعت وستدفع أمريكا في المستقبل لاستخدام القوة العسكرية، مثل حرب العراق عام 2003م.

ويرى المؤلف أن أشكال القوة اللاعنافية لها مكانها في أي دولة، ويمكن للمرء أن يجادل بأن الولايات المتحدة أخطأت في بدايات القرن الحادي والعشرين في عدم تطويرها تلك الأنواع من حملات الدعاية والتخريب ضد «الإسلام الراديكالي» التي كانت تشكل في القرن العشرين جزءاً مهماً من ترسانتها في صراعها مع الشيوعية، وبالإشتراك مع السفن الحربية القوية التي

تقرض الحصار على سبيل المثال، يمكن أن يكون لأدوات السياسة العامة، مثل الحظر والعزلة عن المعاملات المالية الدولية، تأثير قوي، ويرى المؤلف أن القوة الناعمة وحدها لها تأثيرات محدودة، وعواقب وتداعيات



قراءة في كتاب

من المرتبة الثانية والثالثة لا يمكن للقادة الأمريكيين السيطرة عليها بل وربما يأسفون لها.

ويميل «كوهين» إلى ضرورة استخدام القوة الخشنة؛ لأن العالم، بحسب وجهة نظره، مكان خطير، ويختلف مع الواقعيين الذي يعتقدون أن سياسة خارجية حازمة لن تؤدي إلا إلى الإخلال بتوازن القوى الذي يعمل بشكل جيد، ويرى «كوهين» أن القوة الناعمة لا يمكن أبداً أن تكون بديلاً عن القوة الخشنة.

ورغم اعتراف الكاتب بفشل الحروب الأمريكية على مدار 15 عاماً، فإنه يرى أن العالم الذي مزقته الصراعات سيستدرج الولايات المتحدة إلى خصوماته ومنازعاته، وربما كان هذا هو الدرس الأكبر الذي يمكن استخلاصه من إدارة «أوباما»، بحسب «كوهين»، التي جاءت إلى السلطة تحدوها رغبة صادقة في إنهاء الحروب الأمريكية، لكنها بدلاً من ذلك وجدت نفسها تشن مثل هذه الحروب في الأماكن التي كانت حريصة على الخروج منها، ومن شأن عالم مضطرب، يمكن فيه للصين مثلاً أن تؤكد مطالباتها بالسيادة على بحر الصين الجنوبي باعتباره مياهها الإقليمية، أن يشهد ربما انتشاراً نووياً في الكثير من أرجاء آسيا وإمكانية نشوب نزاع واسع النطاق هناك.

15 عاماً من الحروب الفاشلة

رغم أن «كوهين» يعترف أن حروب أمريكا على مدار 15 عاماً كانت فاشلة، فإنه يرى أنه بدون التوافق مع الماضي الاستراتيجي الأخير لأمريكا فمن المستحيل التفكير بوضوح في مستقبلها الاستراتيجي.

ويسرد المؤلف لسلسلة الحروب الأمريكية من العام 2001م، معتقداً أنه تصرف بوعي وإدراك لما تقوم به في الحرب عندما حاربت «تنظيم القاعدة» والجماعات الجهادية المماثلة، ولا سيما «تنظيم الدولة الإسلامية» في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وخارجها، وشنت حملة اغتالات بالقصف بالطائرات

بدون طيار في جنوب آسيا واليمن، على وجه الخصوص؛ فقد غزت أفغانستان في عام 2001م، وبعد الإطاحة بنظام «طالبان» هناك شاركت في حملة مطولة لمكافحة التمرد ضد عدوها المعاد تشكيله، وغزت العراق في عام 2003م، وسحقت مجموعة صدام حسين، وقمعت القوة المتبقية الموالية له.

ثم شنت مجموعة من الحملات المعقدة ضد كل من الجهاديين السنة والمليشيات الشيعية التي ترعاها إيران، وفي عام 2004م وجدت نفسها في حرب ثالثة في العراق خلال ربع قرن حيث قاتلت، وإن كان على نطاق أصغر، «تنظيم الدولة الإسلامية»، وهو أحد التنظيمات المنبثقة عن «تنظيم القاعدة» في العراق الذي سيطر على أجزاء كبيرة من سورية أيضاً، وكانت هناك أيضاً استخدامات أخرى أصغر، ولكنها مهمة للقوة، بحسب المؤلف، مثل المشاركة في الإطاحة بالديكتاتور الليبي معمر القذافي عام 2011م.

يرى «كوهين» أن فرضية أن هذه الحروب يجب أن تُدرس وتُناقش جملة واحدة، وليس كما يحدث في كثير من الأحيان، بوصفها نزاعات متميزة، وهي نفسياً وعملياً مترابطة في العديد من النواحي، وليس فقط لأنها جرت في وقت واحد، ويفترض الكاتب أنه لا يمكن أن يكون هناك أي اعتبار سليم للاستراتيجية الأمريكية المستقبلية دون السؤال عن هذه الحروب، وعن أوجه الصواب والخطأ فيها، وعن ماهية آثارها العالقة.

يستشهد مؤلف الكتاب بمقولة للمفكر الاستراتيجي الصيني القديم «سن تزو»: «تعرف إلى عدوك وتعرف إلى نفسك، وفي مائة معركة لن تهزم»، مشيراً إلى أن العراق وأفغانستان والصراع مع «القاعدة» أظهر أن الولايات المتحدة كثيراً ما تسيء فهم أعدائها،

التحدي الأمني الأول لأمريكا

ليس «داعش» ولا الحركات

الجهادية ولا روسيا بل الصين

ظهور الصين في مركز الاقتصاد

العالمي والسياسة العالمية

أهم ظاهرة دولية بالقرن

الحادي والعشرين

وهي لم تقم بما هو أفضل لفهم نفسها، ولم تقدم إدارة «بوش» ولا إدارة «أوباما» بإعداد الشعب الأمريكي بالشكل الكافي لما كان عليه توقعها بأنها ستكون حروباً طويلة الأمد، ولم تبذل أي جهد لتعبئة الرأي العام بالطريقة التقليدية -مع الخطب والتوضيحات الرمزية على الجبهة الداخلية (الضرائب أو السندات) وحشد الموارد المحلية والترويج الشعبي للإنجازات العسكرية في ميدان المعركة- بحسب المؤلف، ويعترف المؤلف أن حرب العراق كانت خطأ؛ لأنها قامت على فرضية كاذبة؛ فالفرضية المفصلة لبرنامج أسلحة الدمار الشامل العراقي النشط والخطير كانت كاذبة، وتلقت مصداقية حكومة الولايات المتحدة الأمريكية جراء هذه الكذبة وحدها صفة موجعة.

اليد الأمريكية وخيبات الأمل

يرى المؤلف أنه على الرغم من كل خيبات الأمل التي أصابها والخسائر التي تكبدتها في السنوات الأخيرة، فأمريكا لا تزال قوية جداً في العديد من معايير القوة، وقد استغل الآخرون هذه السنوات الخمس عشرة للاستفادة من انشغال أمريكا بعملياتها في الشرق الأوسط، وبالرغم من إخفاقها في العديد من الحروب، فإنها كانت ناجحة جداً في عمليات أخرى، ووراء هذه القوة المتميزة لأمريكا يكمن اقتصاد إنتاجي ناجح ونظام سياسي راسخ، وإن كان معقداً، وتركيبية سكانية مشجعة، وشبكات من العلاقات في الخارج لا مثيل لها لدى أي منافس حقيقي أو محتمل، ولا يوجد بلد آخر أو مجموعة من البلدان تضطلع بدور أفضل من الدور الذي تضطلع به الولايات المتحدة على صعيد السياسة الدولية، بحسب المؤلف.

ومع ذلك، فإن اللعبة التي يضطلع هذا الدور بأدائها آخذة في التغير، ففي بعض المناطق باتت القدرات العسكرية للولايات المتحدة في طور التآكل، أو مهددة بالانقراض، وتحتاج إلى إعادة بناء أو إعادة تشكيل، وفي أكثر من موضع يدعو «كوهين» في كتابه إلى التأكيد على ضرورة إعادة بناء القوة العسكرية الأمريكية لاستمرار فرض هيمنتها على العالم، مفضلاً استخدام القوة الخشنة على القوة الناعمة.

ويعتبر «كوهين» أن أكبر عنصر في القوة العسكرية الأمريكية هي قواتها التقليدية

نبذة عن المؤلف



«إيليوت كوهين»، أستاذ في زمالة «روبرت أوسجود في كلية الدراسات الدولية المتقدمة بجامعة جونز هوبكنز»، ومدير «مركز فيليب ميريل للدراسات الإستراتيجية».

الممرات البحرية إلى أوروبا في حالة نشوب حرب مع الاتحاد السوفييتي، ولكنه ليس مصمماً لإحباط أي عدوان صيني محتمل. - يرى المؤلف أن الصين تمثل اليوم مشكلة إستراتيجية ليست لها سابقة حقيقية في التاريخ الأمريكي.

- ليس من المستغرب أن يكون للنمو المذهل للصين الذي ارتقى بها لتصبح ثاني أكبر قوة اقتصادية في العالم، عواقب إستراتيجية كبيرة.

- إن التحدي الأمني الأول للولايات المتحدة الذي يتطلب استجابة قوية ليس «تنظيم الدولة الإسلامية» ولا الحركات الجهادية، وليس أيضاً روسيا، بل الصين، المطلوب تحقيق التوازن معها ومنعها من فرض الهيمنة على جيرانها ومحاولة إعادة تشكيل نظام دولي على شاكلتها.

- ظهور الصين في مركز الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية أهم ظاهرة دولية في القرن الحادي والعشرين.

- للتفاهم مع الصعود العسكري للصين يجب على الإستراتيجيين الأمريكيين أن يعترفوا بأنهم يواجهون خصماً من نمط فريد وقوي.

- مفتاح النجاح على طريقة الحكيم الصيني «سن تزو» في شن الحرب هو توافر المعلومات الاستخبارية الاستثنائية عن العدو، وفهمه، ويجب أن تكون المعلومات مصحوبة أيضاً بالإدارة الحكيمة البارعة. ■

على فكرة وجود احتمالات متزايدة بأن أمريكا ستستخدم القوة العسكرية بشكل متزايد ومتفاوت الحدة خلال العقود القادمة، وبالطبع أخذ في الدفاع عن زيادة معدل الإنفاق العسكري، وحذر من إحجام الولايات المتحدة عن استخدام القوة العسكرية، بحجة لطيفة وكوميديية جداً، ألا وهي أن ذلك سينجم عنه تكلفة أخلاقية وبشرية كبيرة، في ظل عالم تنتشر فيه الأنظمة غير العقلانية. حاول «كوهين» من خلال صفحات كتابه

التأكيد على ضرورة وجود نوع من التوازن ما بين استخدام العصا الغليظة أو «القوة الخشنة» بكل ما تحمله من أدوات، ابتداء من فرض العقوبات، مروراً بممارسة الضغوط الاقتصادية، ووصولاً إلى استخدام القوة العسكرية، وما بين استخدام «القوة الناعمة» تلك المتمثلة في كل ما يخص إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية من أبحاث علمية، وتقدم تكنولوجي مذهل، ومنتجاتها الفنية التي تشمل فنون السينما والدراما والأغاني، وحتى أسلوب ثقافة الحياة الأمريكية.

خلاصات الأفكار:

- يرى المؤلف أن اليد العسكرية الأمريكية قوية لكنها مختلطة، ولا يزال مزيجها النوعي والكمي فريداً من نوعه على الرغم من أن البعض الآخر بدأ إلى حد ما يلحق بالركب (في إشارة منه إلى الصين).

- يرى المؤلف أنه لا تزال هيكليّة القوات الأمريكية في أوائل القرن الحادي والعشرين تعكس الواقع الإستراتيجي للقرن العشرين؛ فسلح البحرية الأمريكية لا يزال مصمماً للحفاظ على النظام العالمي والدفاع عن

حروب أمريكا على مدار 15 عاماً

كانت فاشلة وبدون التوافق

مع الماضي الإستراتيجي من

المستحيل التفكير بالمستقبل

الإستراتيجي

الهيمنة الأمريكية في طريقها

إلى التراجع والانهيار والعالم

بصد نظام عالمي جديد

الضخمة: جيش يضم 2300 دبابة، بالإضافة إلى فيلق بحري مع 450 دبابة إضافية، وأسطول يضم أكثر من 50 غواصة هجومية (SSN)، و10 حاملات طائرات (CVN)، وأكثر من 80 طراداً ومدمرة، وقوات جوية تمتلك أكثر من ألف مقاتلة، وأكثر من مائة قاذفة بعيدة المدى، بما في ذلك 20 قاذفة من طراز «b-2» الشبح، وبالرغم من ضخامة هذه الأرقام، فهي تعكس قوة كانت في طور الانخفاض على صعيد الحجم.

ويستمر المؤلف في استعراض القدرات العسكرية الأمريكية ليخلص إلى القول: إن اليد العسكرية الأمريكية قوية لكنها مختلطة، ولا يزال مزيجها النوعي والكمي فريداً من نوعه، على الرغم من أن البعض الآخر بدأ إلى حد ما يلحق بالركب (في إشارة منه إلى روسيا والصين).

الصين التهديد الأخطر لأمريكا

ويعتبر «كوهين» أن الصين تمثل حالياً التهديد الأخطر لأمريكا متمثلاً في الصعود الصيني المسلح، ويؤكد أنه لا يوجد بلد في العالم لديه ثقافة إستراتيجية غنية مثل الصين، إنها حضارة صنعتها الحروب وصقلت الخطوب على مدى آلاف السنين، وهذا أيضاً يشكل تحدياً للولايات المتحدة الأمريكية، وللتفاهم مع الصعود العسكري للصين يجب على الإستراتيجيين الأمريكيين أن يعترفوا بأنهم يواجهون خصماً من نمط فريد وقوي.

وكذلك تحدث المؤلف عن الغزو الروسي لأوكرانيا والقرم ودلالاته، كما تطرق إلى الحديث عن التهديدات النووية لكل من إيران وكوريا الشمالية، وانتهى باستعراض فكرة انتشار الحركات الإسلامية المتطرفة، وما إلى ذلك من أمور؛ لينتقل بنا إلى الجزء التالي الذي تمثل في الحديث عن أهمية استخدام القوة العسكرية؛ حيث يرى أنها تؤدي دوراً أساسياً في دعم الدور الأمريكي عالمياً، وقد طالب صراحة بضرورة تطوير تقارير الأجهزة العسكرية الأمريكية، التي ذكر بأن بعضها يقوم على افتراضات خاطئة، منها مثلاً أن روسيا لا تستطيع القيام بأي هجوم عسكري في اللحظة الراهنة بسبب ضعف اقتصادها.

وفي سياق حديثه، حرص على التأكيد

الاقتصاد في ظل أزمة «كورونا»

الكساد الاقتصادي الذي حل بسبب الأزمة ليس بقوة واحدة فهو كالإعصار يتراوح ما بين عادي ومفجع



اقتصاد إسلامي



د. أشرف دوابه

استاذ التمويل والاقتصاد بجامعة إسطنبول صباح زعيم

ما زالت أزمة «كورونا» تلقي بظلالها على العالم، وما زالت الضبابية وعدم اليقين هي السائد للنهائية المؤلمة لتلك الأزمة، التي جاءت على خلاف المتوقع من خلال نشأتها في القطاع الصحي لتنتقل إلى كافة قطاعات النشاط الاقتصادي؛ حيث لم يسلم منها القطاع الخدمي من نقل وسياحة حتى بدت المطارات فارغة، والأماكن السياحية خاوية، كما شهد قطاع التجارة ركوداً بفعل توقف حركتها والتباعد الاجتماعي ليس على المستوى القطري فحسب، بل على المستوى الدولي، وقس على ذلك القطاعين الصناعي والزراعي.

الجامعة على معلومات تاريخية مستخلصة من أزمات مر بها العالم في أعقاب أوبئة مماثلة لـ «كورونا» ومراحل تعافي الاقتصاد العالمي منها. السيناريو الأول (احتمالية وقوعه «قائمة») يعتمد على تعافي الاقتصاد العالمي في غضون 6 أشهر وفق تعافي الأسواق العالمية الكبرى، انطلاقاً من حدوث صدمة في بداية الأزمة، ثم انتشارها، وأخيراً التعافي في سيناريو يشبه حرف «V» صعوداً وهبوطاً.

بينما يقوم السيناريو الثاني (احتمالية وقوعه «معقولة») على انحدار الاقتصاد ثم تعافيه في سيناريو يشبه حرف «U» صعوداً وهبوطاً، وهو الوجه الآخر للسيناريو الأول، ولكن فترة التعافي أطول من الفترة في السيناريو الأول، وتصل لنحو 9 أشهر.

أما السيناريو الثالث (إمكانية حدوثه «غير متوقعة») فيبدأ بانحدار في الاقتصاد العالمي بسبب صدمة «كورونا»، ثم يعقبه تعافٍ بصورة بطيئة جداً، ويحتاج هذا السيناريو لحدوثه نحو 18 شهراً.

ورغم استبعاد الدراسة حدوث السيناريو الثالث، لكننا نرى أنه قد يكون هو الأقرب للتحقق، لا سيما في ظل عدم الوصول إلى دواء للعلاج حتى وقتنا هذا.

ولن يكون العالم بعد الخروج من الأزمة كما كان قبلها، ولا يعني هذا وجود تغيير جذري في الشكل الاقتصادي العالمي، أو تغيير مراكز القوى العالمية دفعة واحدة؛ فالتاريخ القريب والبعيد يكشف أن هذا التغيير سيكون تدريجياً.

فيحدث عندما ينهار الطلب نفسه؛ أي عندما يتوقف المستهلكون عن الإنفاق وتتوقف الشركات عن الإنتاج، والعلاج الوقتي لذلك هو تدخل مباشر للدولة بضخ سيولة وتخفيض الضرائب وزيادة الإنفاق الحكومي، لإحياء النمو على المدى القريب، ويكون هذا الأمر له تبعات أكثر إذا وصل مؤشر الضيق الذي يمثل حاصل جمع البطالة ومعدل التضخم إلى رقم عشري أو ذي خانيتين.

وفي المراحل الأولى للكساد والتوقف باشتداد الأزمة، لجأت الدول الغربية ذات الاقتصاديات الكبيرة إلى خفض سعر الفائدة نحو الصفر، ووقف البيع على المكشوف، وضخ سيولة، والتشجيع على الإنفاق، وصرف إعانات اجتماعية، ودعم الشركات حتى لا تقع في براثن الإفلاس، وعمل مراكز الأبحاث ليل نهار، وكان لافتاً للنظر الرجوع كذلك إلى الله تعالى والتسليم بقدرته من خلال هذا الفيروس غير الملموس ولكن فعله ملموس في ربوع الدنيا، حيث سجن الناس في بيوتهم، وأوقف دولاب الإنتاج في دول العالم.

3 سيناريوهات للمواجهة

وتضع الأزمة العالم وشكله في أزمة، فالكل ينتظر الخروج منها، وشكل العالم بعد اجتيازها.

وقد تعددت سيناريوهات الخروج منها، ففي دراسة نشرتها جامعة هارفارد وضعت ثلاثة سيناريوهات لتعافي الاقتصاد العالمي من أزمة فيروس «كورونا» بناء على اعتماد

لقد عبرت عن هذا الوضع المؤلم مديرة صندوق النقد الدولي «كريستالينا جورجييفا» بتصريحها أن العالم دخل حالة ركود، قد تكون أسوأ من الأزمة المالية العالمية الأخيرة في العام 2008م، وكذلك ما تلاه من تصريحات لكبيرة الاقتصاديين بصندوق النقد الدولي «جيتا جوبينات»؛ أنه من المحتمل جداً أن يشهد الاقتصاد العالمي هذا العام أسوأ ركود له منذ الكساد العظيم عام 1929م، متجاوزاً ما شاهدناه خلال الأزمة المالية العالمية عام 2008م.

والواقع أن الكساد حلّ بدول العالم بسبب الأزمة، وهذا الكساد بطبيعته ليس بقوة واحدة، ولكنه متعدد القوى؛ فهو كالإعصار يتراوح ما بين عادي ومفجع.

فالكساد العادي يحتل المرتبة الأولى، ويسمى كذلك كساد المخزون؛ حيث يمثل جزءاً من دورة الأعمال التجارية، ويحدث حينما يتجاوز العرض الطلب، فتخفض الشركات الإنتاج بصورة حادة إلى أن يباع ما لديها من مخزون، وهذا يمكن علاجه اقتصادياً من خلال تصحيح السوق نفسها بنفسها أو التوجيه غير المباشر للحكومة.

أما الكساد المفجع وهو من الفئة الخامسة،

دراسة تتوقع 3 سيناريوهات

للخروج من الأزمة الأول يحدد

للعلاج 6 شهور والثاني

9 شهور والثالث 18 شهراً

«.. بين الواقع والمستقبل



قواميس الطب، وبات على الدول أن تخطط للتعامل معه بصفة مستمرة بعد الخروج من الأزمة.

كما أن دور الحكومة سيصبح أكثر أهمية كذلك في ظل تفاقم الدين العام ومشكلات الموازنة الناشئة عن الديون المرتبطة بتبعات الأزمة والبطالة، وهو ما يضع على الحكومات مسؤوليات جمة، لا سيما في ظل التضخم المتنامي ولید الأزمة، نتيجة لارتفاع أسعار السلع لا سيما السلع الغذائية، وهو ما سوف يؤسس في الدول كذلك لأهمية توفير الأمن الغذائي من خلال الاهتمام بالقطاع الزراعي والثروة الحيوانية والسمكية، وفي مقدمة الزراعات زراعة القمح بدلاً من التركيز في سلع قد تكون ذات ربحية ولكنها تفتقد للبعد الإستراتيجي لتحقيق الأمن الغذائي، لا سيما أن التقارير الدولية تفيد أن نصف سكان العالم سيكونون تحت خط الفقر بعد الانتهاء من الأزمة.

التأثير عربياً

وإذا كان ما ذكرناه يمتد للنظام العالمي ودوله، فإن الدول العربية ليست بعيدة عن هذه النتائج بعد الأزمة، فالدول غير النفطية خسائرها أكبر بالطبع من الدول النفطية، وإن كانت الأخيرة أيضاً معرضة بصورة مباشرة لانخفاض دخلها القومي والانغماس في الانكماش والتكشف بفعل انخفاض سعر النفط، فضلاً عن تبعات الأزمة من تفاقم فاتورة الديون وارتفاع مستويات التضخم والبطالة.

وقد كشفت هذه الأزمة عن عورة النظام الرسمي العربي من خلال التركيز على اقتناء السلاح بدلاً من التوجه نحو تنمية قطاعات الصحة والتعليم والبحث العلمي، فضلاً عن قطاع الزراعة والثروة الحيوانية والسمكية لتوفير غذائها ودوائها، وذلك نتيجة طبيعية لسيادة روح الانقسام والدخول في حروب ومؤامرات من صنع بعضها.

إن الدول العربية إذا لم تغير من نفسها وتستفيد من تلك الأزمة فسيغيرها الآخرون، ولن تكون لها قدم في عالم يتشكل بنيانه، إلا بتغيير نهجها وتحقيق الوحدة بينها، والتركيز على إنتاج احتياجاتها، واحترام حرية الرأي وحقوق الإنسان فيها، وخضوع حكوماتها لإرادة شعوبها. ■

إليها دول إسلامية أخرى؛ فتفعيل تكتلات خارج الوصاية الأمريكية على العالم أمر متوقع، لا سيما أن دول الاتحاد الأوروبي غلبت عليها النزعة المحلية، في تلك الأزمة، وتخلّى بعضها عن بعض، وظهر جشع الولايات المتحدة في التعامل معها، وهذا لا يعني تفكك هذا الاتحاد في القريب العاجل بقدر الانكفاء على النفس، وكل هذا يتيح الفرصة لتفعيل نظام المدفوعات الثنائية والمتعددة لإزاحة الدولار تدريجياً وعدم لعبه في الملعب الاقتصادي الدولي وحده كعملة تسويات دولية.

كما أن العالم سيخرج من هذه الأزمة ناقماً على المدرسة «النيوليبرالية» وتوحشها وتقديمها لحركة الاقتصاد على صحة الإنسان؛ فالصحة سوف تكون قبل الربح، كما أن غل يد الدولة بالتدخل في الاقتصاد سيكون مثاراً للسخرية، لا سيما والعالم كله يظهر كيف تدخلت الدول لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأن المصلحة الخاصة عجزت عن تحقيق المصلحة العامة تلقائياً باسم اليد الخفية التي هي في حقيقتها يد مشلولة عاجزة عن مواجهة الأزمات.

إن التدخل الحكومي سيفرض نفسه حتماً، ولكنه تدخل بما يحمي مصالح المجتمع، وليس تدخلاً يطرد القطاع العام ويزاحمه، وسيبدو هذا واضحاً في القطاع الصحي الذي سيتقدم القطاعات الأخرى من حيث الاهتمام والاستثمار، فضلاً عن قطاع التعليم والبحث العلمي، إضافة إلى بذل جهد أكبر لتوفير العدالة والحماية الاجتماعية والرعاية الصحية، لا سيما أن هذا المرض لن يخرج من

إن الخروج من الأزمة لن ينهي العولة، ولكنه سيضعف من وجود القطب الواحد ممثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية الذي يتحكم في العالم، الذي غلب عليه التوسع الخارجي، والدخول في حروب وإشعال نار حروب أخرى كان أولى ألا يورط نفسه فيها، وانعكاس ذلك سلباً على اقتصاده ومعيشة الأمريكيين الذين يعرف جلمهم الداخل ويجهلون الخارج، وسوف تتعلم أمريكا من هذا الدرس ألا تسلم رقبتهما للصين باعتبارها موطن إنتاجها؛ ما سيدفعها إلى البحث عن مواطن جديدة تتسم برخص العمالة أيضاً في المكسيك والبرازيل والهند وإندونيسيا وغيرها، بدل التركيز في موطن وحيد هو الصين.

كما أن هذه الأزمة سيخرج من رحمها دول لو تم التنسيق بينها لأصبح لها قدم في النظام العالمي الجديد، فليست الصين بنظامها الشمولي وحدها مؤهلة، ولا روسيا المنهكة بالتدخل في الدول الأخرى وتركيزها على التسليح مهيأة، فهناك أيضاً دول أمريكا اللاتينية، والهند، والفرصة متاحة كذلك للتكتل التركي الماليزي الإندونيسي الباكستاني لو تم التنسيق بينها بصورة جيدة وانضمت

**العالم سيخرج من هذه
الأزمة ناقماً على المدرسة
«النيوليبرالية» وتوحشها
وتقديمها لحركة الاقتصاد
على صحة الإنسان**



عبدالحافظ الصاوي

خبير اقتصادي

استدعاء مؤقت للتكامل الغذائي العربي في الأزمات

بالدعم الكافي، ولم يخرج كمشروع تتبناه القمة.

ومع التداعيات السلبية لأزمة «كورونا»، تغيرت السياسات من قبل بعض الدول، ومن بينها دولة عربية مثل مصر، باتخاذ قرارات بمنع تصدير بعض السلع الغذائية، وهو ما يطرح ملف التكامل الزراعي والغذائي العربي مرة أخرى، ولكن هذه المرة يجب أن يراعي انتباه واهتمام الجميع؛ الحكومات، ومجتمع الأعمال، والمجتمع الأهلي؛ فنحن أمام أزمة سيناريوهاها مفتوحة، ولا يعرف لها أمد زمني للخروج منها، والتعافي من آثارها السلبية.

مقدرات العرب بالزراعة والغذاء

التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2019م يضعنا أمام لوحة كاشفة للوضع الزراعي والغذائي في العالم العربي؛ فمساحة الأراضي الزراعية تبلغ 220 مليون هكتار، الأراضي المزروعة بالفعل من هذه المساحة 32.8%، ثم يشكو العرب من أزمة في المنتجات الزراعية والغذائية. ونتيجة لعدم الاهتمام الكافي بقطاع الزراعة، ينصرف العاملون الزراعيون إلى قطاعات أخرى، رغبة في تحسين دخولهم،

ففي عامي 2006 و2007م، شهد العالم أزمة غذاء؛ بسبب توجه بعض الدول لإنتاج الوقود الحيوي، الذي يعتمد على السلع الزراعية، بسبب ارتفاع أسعار النفط في السوق الدولية، وكان إنتاج الوقود الحيوي من أهم أسباب اشتعال أسعار الغذاء في نفس الفترة.

وكانت هذه الأزمة مناسبة جيدة لاستدعاء التكامل الزراعي والغذائي العربي، لكنه استدعاء لم يتجاوز المنصات الأكاديمية والإعلامية، واتجاه بعض الدول النفطية العربية للاستثمار الزراعي في السودان، ثم ما إن شهدت السوق العالمية اتجاه أسعار السلع الغذائية للانخفاض، حتى خفت تلك الأصوات المنادية بالتكامل الزراعي والغذائي العربي.

وفضلت كل الدول العربية تحقيق أمنها الغذائي عبر الاستيراد، وليس تنمية إنتاجها المحلي، أو الإنتاج المشترك في الإطار العربي، ومع انعقاد القمة الاقتصادية العربية الأولى بدولة الكويت في يناير 2009م، تجدد ملف الأمن الغذائي العربي، حيث تقدم مجلس الوحدة الاقتصادية العربية بمشروع لتحقيق الأمن الغذائي العربي بتكلفة تبلغ 36 مليار دولار، ولكن للأسف لم يحظ هذا المشروع

منذ ستينيات القرن الماضي والمجال الأكاديمي والسياسي يسمع لمقولة: «إن العالم العربي بإمكانه أن يكون سلة غذاء العالم، عبر اليد العاملة المصرية، والأراضي الخصبة السودانية، ورأس المال الخليجي»، لكن بعد نحو 6 عقود من الزمن، تزداد الفجوة الغذائية في الوطن العربي، وأصبح الثلاثي المطروح في المقولة السابقة أكثر استيراداً للغذاء، وبخاصة السلع الإستراتيجية، من الحبوب والزيوت واللحوم.

وغير مرة، قرعت الأجراس لخطورة الأوضاع على الصعيد الزراعي والغذائي في العالم العربي، وأن اعتماده على الاستيراد في سلعة إستراتيجية مثل الغذاء يعرض أمنه القومي لمزيد من الخطر، فضلاً عن أنه يُعد أحد المظاهر المهمة للتبعية للخارج.



مساحة الأراضي الزراعية تبلغ
220 مليون هكتار المزروع
بالفعل منها 32.8% فقط

الوضع الحالي يكرس لاستمرار
التعامل مع الأزمة في إطار قطري
ولا يؤشر على تعاون ولو ثانياً

المقبول أن تحصل دولة ما على كل شيء، بينما تغيب المصالح عن دولة أخرى بالكلية. ويتطلب الأمر أن تعيد الدول العربية النظر في محافظتها الاستثمارية، لتكون الزراعة وإنتاج الغذاء له أولوية عن أنشطة أخرى، مثل المضاربة في أسواق المال أو العقارات، أو شراء الأنديا الرياضية، فثم خطر محقق بالإنسان في المنطقة العربية، إذا لم تتغير سياسات الإنتاج والاستثمار في المنطقة العربية.

فلم يعد الحديث عن وجود استثمارات عربية لدول الفئاض بحدود 2.6 تريليون دولار يفيد في شيء، وإمدادات المنطقة من الغذاء معرضة للخطر، وسيكون لكل دولة من الدول المنتجة للغذاء أجندتها، التي تعتمد على توفير احتياجاتها المحلية أولاً، ثم محيطها الإقليمي، أو حسابات أجندتها السياسية.

لقد أظهرت أزمة أسواق النفط العالمية هشاشة الاقتصاد العربي، وبخاصة في ظل مقارنة سعر برميل النفط بأسعار بعض السلع الغذائية، بعد انخفاض أسعار النفط، فسعر سلعة مثل البصل فاق سعر الجوال منها سعر برميل النفط، في أسواق بعض دول الخليج، كما أن الطائرات في رحلات مستمرة، ذهاباً وإياباً، للعمل على توفير احتياجات بعض البلدان من الغذاء.

لقد أهمل العرب التعامل السليم مع العديد من الأزمات خلال الفترة الماضية، ولكن التداعيات السلبية الاقتصادية والاجتماعية لأزمة «كورونا» سيكون لها وقع جديد، يتطلب إدارة عربية مختلفة على مستوى طرق التفكير وإستراتيجيات المواجهة.

فلم تعد القرارات الفردية، أو إهمال مراكز البحوث وأهل الخبرة، تصلح فيما هو آت، فالأصل أن يُستدعى ذوو الخبرات، والجامعات، والعلماء العرب من الخارج، لبناء عالم عربي جديد يتجاوز قضايا مثل الغذاء، لتكون قضية تاريخية، ويعمل على تقوية عناصر القوة في ضوء خريطة القوى الاقتصادية والسياسية على الصعيد العالمي. لقد رضينا بالتبعية في ظل العولة، على مدار أربعة عقود، ومن غير المقبول أن تظل اهتمامات المنطقة العربية لا تتجاوز التفكير في مجرد توفير غذائها. ■

ثُمَّ خطر محقق بالإنسان في المنطقة العربية إذا لم تتغير سياسات الإنتاج والاستثمار فيها

التداعيات السلبية لـ «كورونا» سيكون لها وقع جديد يتطلب إدارة مختلفة في طرق التفكير وإستراتيجيات المواجهة

وجود فئة مستفيدة من استمرار هذا الوضع، حيث يضمّنون تجارة رائجة عبر الاستيراد والتوزيع داخل كل قطر، باعتبار الغذاء سلعة إستراتيجية لا ينخفض الطلب عليها، بل يستمر ويزيد مع زيادة عدد السكان في كل دولة.

وهذه الحالة تكرر لاستمرار التعامل مع الأزمة في إطار قُطري، ولا يشجع على تعاون في ملف الزراعة والغذاء، ولو على مستوى التعاون الثنائي.

هل يحقق «كورونا» المستحيل؟

الممارسات السلبية على صعيد التكامل الاقتصادي العربي تجعل الوصول إلى حالة تكاملية أشبه بالمستحيل، ولكن ثمة فرضية الآن على الساحة الفكرية والسياسية، في ضوء أزمة «كورونا»، تقول: إن العالم بعد أزمة «كورونا» يختلف عن العالم قبلها.

ومن قبيل الحكمة العربية «تفاءلوا بالخير تجدوه»، فلنفترض أن التداعيات السلبية لـ «كورونا»، وما هو منظر في ضوء أن تجري العديد من الدول مراجعات لسياساتها الاقتصادية والاجتماعية، بعد تجاوز الأزمة، أن توجد هذه الأزمة فرصة ليتوجه العالم العربي لإعادة ترتيب بيته من الداخل، ويتجه نحو التكامل الاقتصادي في مجالاته المختلفة، ومن بينها التكامل في المجال الزراعي والغذائي.

وهذه الفرضية ستكون من الدروس المستفادة من الأزمة، ولكنها تحتاج إلى إزالة المعوقات التي أشرنا إليها من قبل، ليكون المسار الجديد مبنياً على المصلحة المشتركة، مع مراعاة توزيع المخاطر والعوائد، فمن غير

وتحقيق نوع من الاستقرار الحياتي، فقد بلغ عدد العاملين بقطاع الزراعة بالعالم العربي عام 2017م نحو 24.1 مليون عامل، بينما كان هذا العدد عام 2010م نحو 27.1 مليون عامل.

وتتدنى مساهمة قطاع الزراعة في الناتج المحلي الإجمالي للعالم العربي، حيث تصل إلى نحو 4.5%، كما يبلغ نصيب الفرد من الناتج الزراعي 302 دولار فقط لا غير في عام 2018م، وهو معدل يبين إلى أي مدى يعاني قطاع الزراعة في عالمنا العربي من إهمال.

أما عن الميزان التجاري الزراعي، فتشير البيانات عام 2017م إلى وجود عجز بالميزان الزراعي للعالم العربي بنحو 62.4 مليار دولار، بينما تبين الأرقام أن العجز بالميزان التجاري للغذاء بالعالم العربي بلغ 32.6 مليار دولار.

معوقات التكامل الزراعي والغذائي

لا يعد الملف الزراعي والغذائي استثناء من الملف الشامل للتكامل الاقتصادي العربي، حيث توجد مجموعة من المعوقات، تقف حجر عثرة أمام نجاح التكامل الزراعي والغذائي، منها غياب الإرادة السياسية في الدول العربية، منذ عقود، في الوصول لحالة نجاح في ملف التكامل الاقتصادي، وفضلت كل دولة التصرف في قضية الزراعة والغذاء على حدة، ومع ذلك لم يسفر هذا السلوك إلى نتيجة إيجابية على المستوى القطري.

ولعل الوضع الحالي الذي تعانيه المنطقة العربية يمثل إضافة جديدة في ملف المعوقات لتحقيق التكامل الزراعي والغذائي، حيث تعم حالة عدم الاستقرار السياسي والأمني غالبية الدول العربية، فالحرب الأهلية ما زالت قائمة في كل من ليبيا، وسورية، واليمن، والعراق، والسودان، والصومال.

وكذلك تعيش منطقة الخليج أزمة حصار قطر لأكثر من عامين؛ وهو ما يعكس حالة الانقسام في منطقة الخليج، وتأثر كل من السعودية والإمارات سلباً باستمرار الحرب في اليمن، وإن كان أعلن مؤخراً وقف لإطلاق النار لمدة أسبوعين، تحت إشراف الأمم المتحدة.

يضاف إلى ذلك أن غياب المناخ الديمقراطي في الدول العربية ساعد على

وقفه مع «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟»



محمد إلهامي

باحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

هذه الآية ينفر
من سماعها الذين
يصدون عن سبيل
الله والذين يحبون أن
تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا



جميع اليهود في افتداء الأسرى منهم، فيسعى بنو النضير في افتداء أسرى بني قريظة والعكس كذلك، فكانت العرب تستغرب هذا وتُعيرهم به، يقولون: كيف تقاتلونهم وتدفونهم؟ فيقول اليهود: إنا أمرنا في شريعتنا أن نضديهم وحرم علينا قتالهم، فيقولون: فلم تقاتلونهم؟ فيقول اليهود: إنا نستحي أن يُسندَل حلفاؤنا.

وروى أصحاب التفسير وقائع تدل على أن اليهود كانوا يبذلون المال وإن غلا وزاد في افتداء الأسرى منهم ولو من بلاد بعيدة، مع أنهم أبخل الناس بالإنفاق، ويرون أن التخلي عن الأسرى وقوع في الكفر⁽¹⁾.

وهكذا كان اليهود يقاتلون بعضهم نزولاً على مقتضى السياسة وأحلافها، ويفدون بعضهم نزولاً على مقتضى الدين والعقيدة، وهنا نزل القرآن الكريم يُشنع عليهم أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويتوعدهم بالعذاب بالفاظ قوية رهيبة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ

لكن الغريب الذي يلفت النظر هنا أن هذه الآية نزلت تدين سلوكاً كان اليهود يفعلونه، هذا السلوك إذا حُكي اليوم في أمتنا فأغلب الناس سيرون أنه عمل عظيم يدل على التمسك بالدين وعلى تعظيم اليهود لشريعتهم!

مناسبة النزول

ومختصر الأمر أن اليهود في المدينة المنورة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كان أكبر قبائلهم ثلاثاً: بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ومع هذه الفرقة فيما بينهم اختلفت مصالحهم فاختلفت حساباتهم وتحالفاتهم السياسية، حتى وصل الأمر إلى أن بني قريظة كانت في حلف مع الأوس، وبني النضير كانت في حلف مع الخزرج، فإذا نشبت الحرب بين الأوس والخزرج (وهم وثنيون) تقاتلت كل قبيلة من اليهود مع حلفائهم، فإذا باليهودي يقتل اليهودي وينهب ماله ويخرب داره تقديمًا لحسابات السياسة والحلف على صلة الدين والعقيدة. حتى إذا وضعت الحرب أوزارها، سعى

من الآيات الشديدة في القرآن الكريم قوله تعالى: «أَفْتَوُْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ» (البقرة: 85)، وذلك أنه تبارك وتعالى استعمل لفظ «وتكفرون» الذي هو غاية التشنيع على فاعليه والتقبيح لعملهم، فلم يقل مثلاً: أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون بعضاً، أو تدعون بعضاً، أو تهملون بعضاً.. لا، وإنما استعمل لفظ «الكفر».

هذه الآية يكثر استعمالها على ألسنة الدعاة والعلماء حين يعمدون إلى الإنكار على بعض العادات أو السلوك المخالف للدين بين المسلمين، وهي لهذا آية ينفر من سماعها أولئك الذين يصدون عن سبيل الله، وأولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

لأنفسهم ونفياً لها»، وبعض القراءات جاءت بصيغة المبالغة كقراءة «تَسْفُكُونَ دماءكم» وهي زيادة في التقييح والتشنيع⁽⁴⁾.

وتوقف بعض المفسرين عند هذه الآية مع معنى عقوبة النفي، فقال: «وفيها تحريم إخراج الإنسان من دياره وأرضه وتغريبه بغير حق، والإخراج من البلد عقوبة شرعية يجب ألا تنزل إلا بسبب شرعي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (المائدة: 33)؛ فجعل الله سبب الإخراج من البلد محاربة الله ورسوله، وإنزال العقوبة لمجرد مخالفة المحكوم للحاكم في رأيه -الذي لا يخرج عن حد النقل والعقل- غير جائز.

ولما جعل الله النفي عقوبة دلَّ هذا على أن بقاء الإنسان في بلده حق مشروع له، يجب أن يحفظ ويصان، ومن واجبات ولي الأمر حفظه، وليس نزع، وعقوبة الإخراج من الأرض والبلد عقوبة شديدة يقر بقسوتها جميع الشرائع المؤمنة والكافرة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ (إبراهيم: 13)، فسمي الله الإخراج من الأرض ظلماً.

وينبغي للحاكم الذي يريد إخراج أحد من بلده أن يعرف قدر أثر الإخراج على صاحبه؛ فهو ظلم شديد، ولا ينبغي أن ينزل إلا في حال العجز عن كف الأذى والردع إلا به، ولا بدَّ من معرفة قدر الفساد اللازم من إخراجه عليه وعلى ذريته من بعده، ومقارنته بالسبب الموجب لإخراجه، والحكم في ذلك لتقدير الله في كتابه وسنة نبيه بنظر عالم عارف، لا بالهوى والشهوى⁽⁵⁾.

الهوامش

- (1) انظر: تفسير ابن كثير، 1/478 (ط1 مؤسسة قرطبة، 2000م)؛ موسوعة التفسير بالمأثور، 2/528 وما بعدها (ط1 دار ابن حزم، 2017م).
- (2) تفسير الطبري، 2/300، (ط1 مؤسسة الرسالة، 2000م).
- (3) حاشية الطيبي على الزمخشري (فتوح الغيب)، 2/559 (ط1، جائزة دبي للقرآن الكريم، 2013م)، وما في المتن عبارة الزمخشري.
- (4) تفسير القرطبي، 2/236 (ط1 مؤسسة الرسالة، 2006م).
- (5) الطريفي، التفسير والبيان، 1/81، 82 (ط1 دار المنهاج، 1438هـ).

اليهود كانوا يقاتلون بعضهم نزولاً على مقتضى السياسة ويفدون بعضهم نزولاً على مقتضى العقيدة

أكثر البلاد المسلمة الآن

ترتكب جرائم تسليم

المسلمين لعدوهم وهم

يعلمون ما سيلقونه من

التعذيب والقتل

عقوبة الإخراج من الأرض

والبلاد عقوبة شديدة يقر

بقسوتها جميع الشرائع

المؤمنة والكافرة

مضوا، وإنكم يا أهل الإسلام تُعنون بهذا الحديث».

لقد كانت هذه الآية واحدة من الأعمدة التي بُنيت عليها أحكام التحالف بين المسلمين وغير المسلمين، وأحكام القتال بين المسلمين إذا وقع بينهم، وأحكام التعامل في قتال البغاة والغلاة من المسلمين وأسراهم وجرحاهم، والاستعانة عليهم بعدو من غير المسلمين، إلى آخر هذه الأحكام المبسوطة في كتب الفقه.

ولقد كان تعبير الآية عن القضية تعبيراً لطيفاً عالي المعنى، توقف عنده المفسرون طويلاً، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفُكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (84) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ».

قال أهل التفسير: «نفسك يا ابن آدم أهل مملكته»⁽²⁾، وقالوا: «جعل غير الرجل نفسه إذا اتصل به أصلاً وديناً»⁽³⁾، وقالوا: «فإن قيل: وهل يسفك أحد دمه، ويخرج نفسه من داره؟ قيل له: لما كانت ملتهم واحدة وأمرهم واحداً، وكانوا في الأمم كالشخص الواحد، جعل قتل بعضهم لبعض وإخراج بعضهم بعضاً قتلاً

أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتِيَكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)﴾ (البقرة).

رؤية عصرية

لو غضضنا الطرف مؤقتاً عن هذا التشنيع القرآني الشديد، واستعملنا ثقافتنا المعاصرة في تقييم هذا المشهد، فإن أغلب المحللين سيري أن هذا من نبل الأخلاق وشدة الإيمان، إذ كيف تسمح نفس المرء أن يدفع من أمواله ليفتدي أسيراً كان هو نفسه سبياً في أسره، وربما لو اختلفت الحال قليلاً لكان قد قتله فعلاً، ثم انظر كيف ينسي القوم ما كان بينهم من القتال ليتعاونوا معاً في فداء أسراهم!

لو تصورنا مثلاً أن دولتين من الدول الإسلامية نشبت بينهما الحرب، أو حتى لو عدنا بالذاكرة إلى ما قبل ثلاثين عاماً وتصورنا أن الحرب قد نشبت بين العسكريين الشرقي والغربي، واضطرت دولتان مسلمتان تحت ضغط السياسة أن تتقاتلا، ثم إذا انتهت الحرب انطلقت هاتان الدولتان في مباحثات دبلوماسية محمومة وبميزانية مالية مفتوحة لاستقاذ الأسرى المسلمين، إذا حصل هذا فكيف سيكون تقييم هذا الأمر؟! سيكتب في إنجازات هاتين الدولتين وسيبَّّر لهما ذنب دخول الحرب بمقتضى السياسة والحلف وتكتب فيهما عرائض التبرير بمعاذير الاضطراب والإكراه والتأويل!

لقد ابتعدنا عن المثال كثيراً، إننا الآن في زمن يستبيح فيه بعضنا بعضاً بلا دين ولا حتى قانون وضعي، بل أكثر البلاد المسلمة الآن ترتكب جرائم تسليم المسلمين لعدوهم وهم يعلمون ما سيلقونه من التعذيب الشديد والقتل، والأمثلة معروفة ومبررة، فإذا كان هذا التشنيع الإلهي الشديد على من ترك شيئاً من شريعته وتمسك بشيء، فكيف يجب أن يقال في مثل هؤلاء الذين تركوا الكتاب مطلقاً فقتلوا وأسروا وسلموا؟!.

ورد عن عمر رضي الله عنه حين قرأ هذه الآية أنه قال: «إن بني إسرائيل قد



لندن - د. أحمد عيسى:

دكتوراه جامعة برمنجهام

أرحام للإيجار!

الأرحام للأجانب، ومنع «التصدير» غير المنضبط للأطفال إلى الخارج، وأنه يجب عدم الاتجار بالأطفال في أوكرانيا، وقال مفوض الرئيس الأوكراني لحقوق الطفل: إن تأجير الأرحام في أوكرانيا غير منظم وينتهك حقوق الأطفال، وأضاف أن ولادة طفل بعيد عن الأم أمر غير طبيعي، وبهذه الطريقة: تصبح أوكرانيا ببساطة متجراً دولياً للأطفال عبر الإنترنت، ولا نعرف العدد الحقيقي لهؤلاء الأطفال الذين تزودهم أوكرانيا بهذه الطريقة، مشيراً إلى أن تأجير الأرحام هو استغلال المرأة من أجل كسب الدخل من قبل الشركات الخاصة وتلبية احتياجات البالغين وينتهك حقوق الطفل.

وأشار مفوض حقوق الطفل إلى أنه في عام 1991م، ذكر ممثلو غرفة برلمانية ألمانية أن تأجير الأرحام يتعارض مع حقوق الطفل، وعلى وجه الخصوص إذا لم تؤخذ العلاقة بين الطفل والأم التي أنجبته في الاعتبار، وإخراج الطفل من الأم البيولوجية يمكن أن يكون له عواقب سلبية، وقال: «أنا أعارض رفضاً قاطعاً تأجير الأرحام التجاري، إنه تجسيد للطفل ووضعه كسلعة»⁽²⁾.

في العام الماضي، تجدد النقاش حول هذه الظاهرة بعد اتهام امرأة دنماركية بالنصب والاحتيال على أكثر من أسرة، دفعت لها المال للحصول على طفل من المتوقع أن يولد في قبرص، جمعت المرأة المال من أسر غير قادرة على الإنجاب، ونجحت واحدة من عمليات التخصيب، لكنها كذبت على الزوجين المعنيين قائلة: إن الحمل لم ينجح، ليتبين لاحقاً أنها وضعت توأمين وقررت الاحتفاظ بهما، فوجهت الشرطة الدنماركية اتهامات لها بـ «تأجير رحمها في مقابل المال، بالإضافة إلى النصب على أكثر من زوجين محرومين من الإنجاب»، هي أنكرت، غير أن فحوصات الحمض النووي في الدنمارك أثبتت أن الزوجين المعنيين هما والدا التوأمين، على

الإجراءات المناسبة لحماية حقوق الأطفال وكرامتهم، حيث أصبحت أوكرانيا بذلك دولة «مانحة للأطفال» للأجانب، ولا تستطيع السيطرة على مصيرهم.

وتتضمن عملية استئجار الرحم دفع مبلغ كبير لمؤسسات تعطي جزءاً منها لأم بديلة ليستقر الطفل في رحمها حتى موعد الولادة، وقد تأتي البويضة من الأم البديلة أو من أمه البيولوجية أو من متبرعة، وقد تأتي النطفة من أبيه البيولوجي أو من متبرع بالنطفة، وتلقح البويضة أحياناً في أنابيب معملية وتزرع في رحم الأم البديلة، بحيث يحمل الطفل المولود عبر هذه العملية الصفات الوراثية لأحد الأبوين أو أكثر، وتمثل التقنيات أهمية كبيرة للمثليين ومزدوجي الميل الجنسي والمتحولين جنسياً، الذين يخططون لتكوين أسرة، وهذه الطريقة قد يلجأ إليها أيضاً حين تكون الزوجة غير قادرة على الحمل بسبب في رحمها، ولكن مبيضها سليم منتج، أو تكون غير راغبة في الحمل ترفهاً⁽¹⁾.

الجسد سلعة!

أصبحت أوكرانيا واحدة من مراكز استئجار الأرحام بسبب قوانينها الفضفاضة، وأثيرت انتقادات عديدة، بسبب استغلال الشركات للأمهات البديلات، وقد عارض كثيرون مسألة التبرع من تأجير الأرحام بسبب التعامل مع جسد المرأة على أنه سلعة أو «مفرخة» بشرية للأطفال، ويتساءل مناصرو المرأة وعلماء أخلاقيات البيولوجيا ما إذا كان تأجير الأرحام يساعد بالفعل في تمكين المرأة لاتخاذ قرارات بشأن أجسادهن أم يحط من شأن النساء الفقيرات ويحيلهن إلى أرحام للإيجار؟

وقد دعت مفوضة البرلمان الأوكراني لحقوق الإنسان إلى التكاثف من أجل التحسين العاجل للتشريعات المتعلقة باستخدام تكنولوجيات الإنجاب وتأجير

علق أكثر من 100 طفل حديثي الولادة من أمهات بديلات في أوكرانيا، إذ لم يتمكن أهلهم من السفر لتسلمهم بسبب إغلاق الحدود منذ مارس الماضي؛ جراء انتشار وباء فيروس «كورونا»، والعدد سيزيد مع تمديد الإغلاق، وشاهد الناس على شاشات التلفاز 51 مولوداً بريئاً مرصوصين في مهدهم، بلا أم أو أب وقد وضعوا في فندق بمدينة كييف تملكه إحدى العيادات.

فما هي حكاية استئجار الأرحام، تلك البدعة التي انتشرت في عالم اليوم المادي الذي لا يعتد بخلق أو عرف أو حق للطفل؟ عصم الله المسلمين من ذلك.

أثارني الفيديو الذي يعتبر كأنه دعاية لهذه العيادة عن تقنيات تأجير الأرحام وتقديمها على أنها «سلع عالية الجودة»، لكنه يعني أيضاً أن الدولة لا تتخذ جميع

هذه العملية تمثل أهمية

كبيرة للمثليين ومزدوجي

الميل الجنسي والمتحولين

جنسياً الذين يخططون

لتكوين أسرة

عملية استغلال من الشركات

الخاصة للمرأة لكسب الدخل

وتلبية احتياجات البالغين

وهو انتهاك لحقوق الطفل

**تأجير الأرحام للولادة حرام
شرعاً لما فيه من مفساد
تتلخص في إفساد معنى
الأمومة كما فطرها الله
وعرفها الناس**

**حلم الأبوة والأمومة يأخذ
بقلوب المحرومين ما قد
يدفعهم إلى عمل أي شيء
غير أخلاقي أو شرعي**



بقلوب وعقول المحرومين؛ ما قد يدفعهم إلى عمل أي شيء غير أخلاقي أو شرعي، هذا ما لم نتوقعه ممن أسلم وجهه لله وقرأ الآية السابقة، على هؤلاء أن يبحثوا عن حلول طبية شرعية، وأن يتحلوا بالتوكل على الله والصبر عسى أن يجعل لهم مخرجاً، والطب في هذا المجال في تطور مستمر، ولعل البديل قد يتحقق بالتبني الإسلامي (مع احتفاظ الطفل بنسبه واسم أبيه)، أو كفالة يتيم يضمونه إليهم، كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من ضمَّ يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه؛ وجبت له الجنة...» (صحيح الترغيب، رقم 1895) ■.

الهوامش

- (1) استئجار الأرحام: شركات تساعد موظفيها وتتكفل بالنفقات
<https://www.bbc.com/arabic/magazine-49734858>
- (2) مفوض الرئيس الأوكراني لحقوق الطفل يطالب بحظر تأجير الأرحام في أوكرانيا
<http://ukrpress.net/node/12219>
- (3) أرحام للإيجار.. جدال أخلاقي وقانوني في الدنمارك
<https://www.alaraby.co.uk/18/2/society/2019>
- (4) دار الإفتاء المصرية فتوى: تأجير الأرحام رقم (722) بتاريخ 11 أغسطس 2019
<https://www.dar-alifta.org/>
- (5) استئجار الأرحام حرام، عبد العظيم المطعني
<https://islamqa.info/ar/answers>
- (6) تفسير السعدي «تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، مؤسسة الرسالة 2000م.

قرار من مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورة مؤتمره الثالث عام 1407هـ بتحريمه أيضاً⁽⁴⁾.

فالرحم تابع لبضع المرأة، والبضع لا يحل إلا بعقد شرعي كامل الشروط والأركان، فالرحم إذن وقف على الزوج العاقد على المرأة عقداً صحيحاً، ولا يحل لغيره أن يشغله بحمل دخيل، أما إذا كانت المؤجرة لرحمها غير ذات الزوج فإنها تكون قد أباحت بضعها ورحمها لرجل أجنبي لم تحل له ولم يحل لها، وهذا وإن لم يكن زناً كاملاً فهو حرام قطعاً لتمكين الرجل الأجنبي عنها في وضع مائه التناسلي فيه⁽⁵⁾.

توكل وبدائل

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَوْرَ (49) أَوْ يَزْوَجَهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيْمًا إِنَّهُ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ﴾ (الشورى)، يقول السعدي: «هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره تعالى، من عمومته، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العياد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء، فمن الخلق من يهب له إناثاً، ومنهم من يهب له ذكوراً، ومنهم من يزوجه؛ أي: يجمع له ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يجعله عقيماً لا يولد له⁽⁶⁾». وبعد، فإن حلم الأبوة والأمومة حلم يأخذ

الرغم من ذلك؛ ما زال الصغيران مع المرأة التي أنجبتهما، في حين أن الوالدين يعانيان مع القانون⁽³⁾.

رأي الشرع

قالت دار الإفتاء المصرية: إن تأجير الأرحام من أجل الولادة حرام شرعاً؛ لما فيه من مفساد تتلخص في إفساد معنى الأمومة كما فطرها الله وعرفها الناس، وصبغها بالصبغة التجارية، مما يناقض معنى الأمومة التي عظمته الشرائع وناطت بها أحكام وحقوق عديدة، ونوّه بها الحكماء، وتغنّى بها الأدباء، وهذا المعنى وذلك التعظيم لا يكون من مجرد بويضة أفرزها مبيض امرأة ولقحها حيوان منوي من رجل، إنما تتكون من شيء آخر بعد ذلك مثل الوحم والغثيان والوهن في مدة الحمل، والتوتر والقلق والطلق عند الولادة، والضعف والهبوط والتعب بعد الولادة، فهذه الصعبة الطويلة هي التي تولد الأمومة. كما أن تغطية الأمومة بهذا الحاجز الضبابي يؤدي إلى تنازع الولاء عند الطفل بعد الإنجاب؛ هل سيكون ولاؤه لصاحبة البويضة، أو للتي حملته وأرضعته من ثدييها؟ مما قد يعرضه لهزة نفسية عنيفة؛ إذ إنه لن يعرف إلى من ينتمي بالضبط؛ إلى أمه الأولى أم أمه الثانية؟ ودور المفسد أولى من جلب المصالح.

وقد صدر قرار من مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة عام 1402هـ بتحريم هذا الأسلوب من أساليب التلقيح، كما صدر

بلاء المتلونين من أهل العلم

مقال

محمد فتحي النادي

كاتب مصري مقيم في الجزائر

يخافون من عزلهم من مناصبهم خوفهم من الموت أو أشد خوفاً.

يسيروا في ركاب القوي مهما كان حتى ولو كان عدواً للأمة، سفاكاً لدماء أبنائها، محتلاً لأراضيها.

وفي لحظة يخسرون كل شيء عندما يغضب عليهم السلطان، أو يجيء سلطان آخر فيعزل بطانة من سبقه، أو يبطش بهم لسوء أفعالهم السابقة.

فلم يبق لهم الجاه الذي أمّلوه، ولا الكرامة التي أهدروها، ولا المال الذي بذلوه. خسروا أنفسهم، وأعانوا على أنفسهم.

العلماء اللصوص

والتاريخ مليء بأمثال هؤلاء الذين تسربلوا بسريال العلم، لكن قلوبهم كانت قلوب ذئاب ضارية.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من انزلاق الأقدام بالإتيان لأبواب السلاطين، وما بعد الانزلاق إلا السقوط، وإذا كان يليق بعامّة الناس عدم الإتيان فهي بالعلماء أليق، فقال: «إياكم وأبواب السلاطين؛ فإنه قد أصبح صعباً هبوطاً»⁽¹⁾، قال المناوي: «هبطاً؛ أي: منزلاً لدرجة من لزمه، مذلاً له في الدنيا والآخرة»⁽²⁾.

وقد ضيق جعفر الصادق الدائرة، فقال: «الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا»⁽³⁾ إلى السلاطين فاتهموهم»⁽⁴⁾.

والفتنة في الدين والنفس والمال ملازمة لمن خالط الأمراء والسلاطين، يقول ابن مسعود: «إن على أبواب السلطان فتناً كمنار الإبل، والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله»⁽⁵⁾. وقد اعتبر سفیان الثوري العالم الذي يحتمي بالسلطان لصاً؛ فهو لص يسرق من دين السلطان بتزيين أفعاله وإضفاء الشرعية عليها، ويسرق من دين نفسه بالسكوت على الظلم وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسرق من دين العامة الذين يرضون

وهناك من لم يعصمهم العلم؛ فيعظون الناس ولا ينتفعون هم أنفسهم بمواعظهم، انغمسوا في الدنيا وملذاتها، واتخذوا العلم وسيلة للإثراء من الحلال والحرام، اتخذوه وسيلة للاستطالة على غيرهم، رفعهم العلم لكنهم أبوا إلا أن يذلوا أنفسهم.

وقفوا على أبواب الأمراء والسلاطين راغبين في لعاة الدنيا، لم تمتلئ أعينهم بما عندهم فراحوا يستزيدون ويستزيدون. يخافون من أهل الجاه والسلطان أكثر من خوفهم من الله تعالى.

جعلوا فتاواهم في خدمة الأمراء والسلاطين، يحلون ما أراد الأمراء تحليله، ويحرّمون ما أرادوا تحريمه. يدورون مع أهواء الأمراء والسلاطين أينما دارت.

يتلونون مع كل حاكم وأمير؛ فالاشتراكية من الإسلام، ويوماً آخر تكون الرأسمالية والديمقراطية هي العلاج لمشكلات الأمة! يملكون حسن المنطق لا لإبراز الحق والحقيقة، بل لاستمالة قلوب العوام، ولتسويق فتاواهم المداينة لذوي الجاه والسلطان.

يشغلون الناس بسفاسف الأمور، وبقضايا فرعية، ويهيلون التراب على عظام القضايا. يقيمون المعارك الكبيرة إذا أراد الحاكم، ويسكتون إذا أراد الحاكم.

يتقربون إلى أهل السلطان بالطعن في أهل العلم والحق.

ويميلون إلى تقسيم الناس؛ فهذا أشعري، وهذا معتزلي، وإخواني، وهذا سروري، وهذا جهادي، وهذا حزبي بغض، وهذا قبوري مشرك.

يشعلونها حرباً متقدة على «عباد القبور» -في زعمهم- ويكونون برداً وسلاماً على سكان القصور.

يدفعون المال للوصول إلى مناصبهم؛ زيادة في الجاه، وزيادة في المال. كلما ارتقوا في المناصب دفعوا في سبيل ذلك من كرامتهم.

إن أهل العلم متفاوتون في حظوظ النفس؛ فمنهم من يصون نفسه عن مواطن المذلة والمهانة، ويعف عن أي مكسب من مال يرى فيه شبهة حرام، بل يمكن أن يترك كثيراً من الحلال خوفاً من شبهة اختلاطه ببعض الحرام.

ومنهم من يقول كلمة الحق ولا يخاف في الله لومة لائم، ولو على نفسه أو الأقربين أو ذوي الجاه والسلطان. ومنهم من يجتنب مخالطة الناس ترفعاً لنفسه عن النميّة والغيبة والوقوع في أعراض الناس.

ومنهم من يتأبى على المناصب فتأتيه وهي رغبة، بل ويعزل ونفسه عنها، ويطلبه السلطان للعودة فيجيب أحياناً ويتمنّع كثيراً. ومنهم من لا تغره الدنيا بزخرفها؛ فيستوي عنده غناه وفقره؛ فلا يفرح لغناه، ولا يحزن لفقره، ويعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.

من العلماء من لم يعصمهم

العلم فيعظون الناس

ولا ينتفعون بمواعظهم

واتخذوا العلم وسيلة للإثراء

من الحلال والحرام

بعض العلماء يملكون حسن

المنطق لا لإبراز الحق بل

لاستمالة قلوب العوام

وتسويق فتاواهم المداينة

لذوي السلطان

ثم سعى الحمصي في المشيخة، وأعطيه،
وباشر مدة يسيرة ثم عزل، وأعيد الشيخ
جمال الدين وأستمر بها إلى أن توفي⁽¹⁰⁾.

فهذا الحمصي رغم ما فعله من مكائد،
وما بذله من أموال ليصل إلى المناصب
الرفيعة ولو على رقاب العلماء الأثبات، لم
يمكث في منصبه إلا مدة يسيرة، وتم عزله؛
فهو قد أهان نفسه، ولم يصنها، وأعان غيره
عليه، ولم يشفع له ما بذل من مال.

فضاع عليه المال ومن بعده ضاع المنصب.
وهذا قاضي القضاة جمال الدين يوسف
بن غانم بن أحمد بن غانم المقدسي النابلسي،
ولي قضاء نابلس مدة طويلة، ثم ولي قضاء
صفد، ثم ولي خطابة القدس في شهر ربيع
الآخر سنة إحدى وثمانمائة بمال بذله.

ثم سعى عليه القاضي جمال الدين
عبدالله بن السائح قاضي الرملة بمائة ألف
درهم، ولم يبق بها غير ثلاثة أشهر، وعزل
بالباعوني⁽¹¹⁾.

فماذا أفادت ابن السائح تلك المائة ألف
درهم التي بذلها؟ وهل تمكن من جمعها
في ثلاثة أشهر، أم كان يريد ببذلها جاهاً
ووجاهة؟!

والمستفيدون الوحيدون هم أصحاب
السلطان وحاشيتهم، استفادوا بتلك الأموال
المبدولة، يضربون العلماء بعضهم ببعض؛
حتى لا يجتمع أهل العلم عليهم، فيذعنوا
لهم وهم صاغرون، لكنهم استفادوا وأذلوا
وتمكنوا من حكمهم. ■

الهوامش

- (1) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة»،
(2018/4)، ح (5072)، وقد ذكره الألباني في
«الصحيحة»، ح (252/3)، ح (1253).
- (2) فيض القدير، للمناوي، 121/3.
- (3) في حلية الأولياء، 194/3: «ركبوا».
- (4) تاريخ الإسلام، للذهبي، 833/3.
- (5) مصنف عبد الرزاق، 317/11، ح (20644).
- (6) شعب الإيمان، للبيهقي، 51/7.
- (7) أخرجه أبو داود في «الأدب»، باب: «في التشديد
في الكتب»، ح (298/4)، ح (4992)، وقد صححه
الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، ح (226/3-
227).
- (8) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (160-159/9)
باختصار.
- (9) «مباشر: قيم، ناظر، وكيل» (تكملة المعاجم العربية،
لدوزي، 350/1).
- (10) تهذيب الأنس الجليل، للعلمي، ص 380.
- (11) السابق، ص 409.



التاريخ مليء بالذين تسربلوا بسربال العلم لكن قلوبهم كانت قلوب ذئاب ضارية

الثوري اعتبر العالم الذي يحتمي بالسلطان لصاً يسرق من دينه بالسكوت على الظلم

فهذه زلة عالم، فما لو كيع ولرواية هذا
الخبر المنكر المنقطع الإسناد! كادت نفسه
أن تذهب غلطاً، والقائمون عليه معذورون،
بل مأجورون؛ فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا
الخبر المردود غضاً ما لمنصب النبوة⁽⁸⁾.

ومن سعي العالم على نفسه وإيرادها
المهالك ما يحكى أن قاضي القضاة شيخ
الإسلام أحد الأئمة الأعلام جمال الدين
بن جماعة الكناني الشافعي باشر الخطابة
بالمسجد الأقصى الشريف، وولي قضاء
الشافعية بالقدس، وعزل نفسه مراً
ثم يسأل ويعاد، وولي تدريس المدرسة
الصلاحية.

وأتفق أن بعض الحسدة أغرى الشيخ
سراج الدين الحمصي على السعي عليه،
فبذل مالاً لبعض مباشري⁽⁹⁾ السلطان، فطلب
الشيخ جمال الدين إلى مصر، وعقد له
مجلس للمناظرة بينه وبين الحمصي، فغيب
الحمصي، فاستمر الشيخ جمال الدين في
المشيخة، وأكرمه الظاهر جقمق، وعاد إلى
القدس معاملاً بالجميل.

مظالم السلطان، ويسكتون على تعديه على
الشرع لسكوت العلماء، فقال: «إذا رأيت
القارئ يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا
رأيت يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مُراء، وإياك
أن تخذع فيقال لك: ترد مظلمة تدفع عن
مظلوم؛ فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القراء
سلاًماً»⁽⁶⁾.

ومن سعي العالم على نفسه أن يحدث
الناس بما لا يعرفون، يقول الذهبي عن وكيع
بن الجراح: محنة وكيع -وهي غريبة- تورط
فيها، ولم يُرد إلا خيراً، ولكن فاته سكتة،
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كفى
بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع»⁽⁷⁾، فليتنق
عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه.

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن
إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي،
أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي صلى الله
عليه وسلم بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله،
وقال: «بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك»،
ثم قال البهي: وكان ترك يوماً وليلة حتى ربا
بطنه، وانتنت خنصره.

قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا
بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع،
ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن
عينة، فقال لهم: الله الله! هذا فقيه أهل
العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف.
قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت
تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث
من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من
جسارته، وأخبرت أن وكيعاً احتج، فقال: إن
عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم، منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله.
فأراد الله أن يريهم آية الموت.



الأحفاد.. رياضة الحياة

إذا نظرت إليهم رأيت زهراً جميلاً، وشممت ريحاً طيباً، يطير الفؤاد فرحاً بهم وهم ما زالوا أجنة في أرحام أمهاتهم، ويفوح شذا عطرهم منذ أول لحظة تبشر فيها بمقدمهم، وتشتم مسك رائحتهم وأنت تحضنهم؛ فهم الحياة المتجددة، والعمر الممتد، والذكر الجميل، والأثر الصالح، بهم تحلو الحياة وتبتهج النفوس، ويعيش المرء معهم لحظات لا تنسى، يخرج فيها لهم من مكنون حبه ومخزون عواطفه ما يبهرهم، ويهيبهم من خلاصة فكره وزبدة تربيته ما يصلحهم.

**الأسرة تشبه الشجرة
العظيمة فالآباء جذورها
والأولاد فروعها والأحفاد
ثمرات تلك الفروع**



وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أهدى النَّجَاشِيُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقة فيها خاتم ذهب فيه فص حبشي، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود، وإنه لمعرض عنه أو ببعض أصابعه، ثم دعا يابنة ابنته أمامة بنت أبي العاص فقال: تحلي بهذا يا بُنَيَّةَ». (رواه أبو داود وصححه الألباني)، فأمامة ماتت عنها أمها زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم وهي طفلة صغيرة، فكان لها جدها العظيم الرحيم صلى الله عليه وسلم خيراً من كل أهلها.

الريحانتان: أما أحفاده الذكور فنذكر منهم الريحانتين الحسن، والحسين، اللذين أحبهما حباً كبيراً، وكان يقول عنهما: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما

والوالدان من الأهل كحب الولد وما يتفرع عنه من الأحفاد التي هي امتداد له ولأبيه. لقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً عظيماً في حبه أحفاده من البنين والإناث، وشبههم بأجمل وأحسن تشبيه، ومارس معهم دوره العظيم كجد يحب أحفاده ويرعاهم، ذكوراً وإناثاً، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي العاص بن ربيعة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها» (رواه البخاري)، وفي رواية مسلم: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها».

إنهم أحفادنا من البنين والبنات ممن امتن الله علينا بهم فقال لنا: «وَاللَّهِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» (النحل: 72)، وفي قول لابن عباس أن الحفدة هم الولد وولد الولد. (انظر: تفسير الطبري)، وذكر ابن العربي أن البنين أولاد الرجل لصلبه، وأن والحفدة هم أولاد ولده. (انظر: تفسير القرطبي).

إن الأسرة من الآباء والأبناء والأحفاد تشبه الشجرة العظيمة التي لها أصل وفروع وثمار، فالآباء أصلها وجذورها، والأولاد فروعها، والأحفاد ثمرات تلك الفروع التي تحمل داخلها بذور الحياة وتضمن استمرارها بإذن الله، وإن حب الولد فطرة في قلوب الآباء، فإنك لا تجد أحداً يحبه

والأحفاد عظيم، ويجب ألا يكون جامداً، بل مؤثراً وفعالاً، ومع منظومة الحياة الحديثة علينا أن نستعيد هذا الدور المهم كما كان في سالف العهد، الذي يبدأ برعايتهم بحب، واحتضانهم برحمة، وتقديم القدوة الصالحة لهم بصدق، وإن لعبة تلعبها أيها الجد مع حفيدك أو صورة ترسمها أو تلونها معه، أو لمسة حنان تمسح بها وجهه، أو قالب حلوى تصنعه الجدة مع حفيدتها لهو جسر رائع للوصول إلى قلوب الأحفاد، فحب الجد والجدة فطري في قلوبهم يجدون فيهما الحزن الحاني بعيداً عن بعض الشدة التي قد تكون في الوالدين.

لذا؛ فإن على الأجداد أن يأخذوا بعين الاعتبار أثناء تعاملهم مع الأحفاد الاستفادة من كل ما جدّ من وسائل التربية الحديثة ووسائلها المتنوعة التي هي نعمة عظيمة إذا أحسن استخدامها، ويمكن ذلك من خلال اللعبة الإلكترونية الهادئة، والمسابقة الطفولية المسلية، والفيلم الكرتوني الهادف المناسب لعمره وحاله؛ إذ تشاركه في مشاهدته، وقد تضطر إلى تقريب أو تصحيح بعض المفاهيم غير المفهومة له أو غير اللائقة.

وما أجمل صحبة الحفيد في رحلة إيمانية في حديقة من الحدائق العامرة بصنوف النباتات أو الحيوانات التي تشير إلى قدرة الله عز وجل وعظيم صنعه؛ لتكون درساً شيقاً في معرفة الخالق وتوحيده؛ وما أجمل أن تعلمه التعلق بالله من خلال اصطحابه ليصلي معه بعض الصلوات في المسجد، وتعليمه الأذكار الخاصة بكل مناسبة وربطه بها، وأن تتمي فيه المواهب الكامنة؛ كالقراءة باصطحابه إلى المكتبة وشراء القصص والكتب المناسبة!

وكل هذا رائع ومتيسر إذا كان الجد قريباً من أحفاده، أما إذا كان اللقاء متعذراً بأن كان في بلد وأحفاده في بلد آخر، فإن على الأجداد في فترات الغياب الاستفادة من وسائل التواصل عن بُعد من خلال المكالمات الصوتية والمرئية، وتسجيل القصص والحكايات والأناشيد لهم، وكل ما يراه مناسباً من أجل المشاركة في تربيتهم، فيعلمه من خلالها فن التعامل مع الآخرين وأدب الكلام وصلة الأرحام واحترام الكبير وبر الوالدين ويربطه بأخلاق الإسلام حتى ينشأ عليها ويصبح قرة عين في الدنيا والآخرة. ■

مع تباعد أماكن عمل الآباء وكثرة مشاغلهم ومسؤولياتهم والضغط الكبيرة عليهم، أضف إلى ذلك انشغال كثير من الأمهات في أعمال المجتمع الوظيفية مع التغير في نظام الحياة وانفتاحها؛ مما أدى إلى مشاركة الغير في التربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، سواء كانت المشاركة من الخادومات أو الحاضنات، أو كانت مشاركة عبر الوسائل الحديثة من الأجهزة الذكية التي استطاعت بذكائها أن تسلب عقول الأطفال وتعطل مواهبهم حين تعلقوا بها وصارت تحت أيديهم دون ضوابط.

رغم مسؤوليات النبي الكبيرة وأعماله الجسام فإنه كان يلاعب أحفاده ويعلمهم ويرأف بهم

أحفادنا هذه الأيام بحاجة أكبر للرعاية النفسية والتربوية في ظل الظروف المحيطة بالأسرة والمجتمعات

على الأجداد أن يأخذوا بعين الاعتبار أثناء تعاملهم مع الأحفاد الاستفادة من كل ما جدّ من وسائل التربية الحديثة

وبعد أن كانت الأم هي المدرسة الأولى والمهمة في حياة أطفالها تنتقي لهم ما يفيدهم من القصص والحكايات التربوية، وتحتضنهم في حضنها الدافئ الذي لا بديل له، وتمارس معهم دور الأمومة بكل معانيها، صار أحفادنا تتجاوزهم منا كل الوسائل الأخرى، وتتخطفهم من بين أيدينا الألعاب الإلكترونية، وأفلام الكارتون الغث منها والسمين على السواء، ومناجاة الأصحاب الذين لا يعرف عنهم سوى اسم انتحلوه على شاشات التواصل لا ندري صدقه من كذبه، أضف إلى ذلك عموم البلوى حين يمتلك الصغير هاتفاً محمولاً نلهم به حتى نرتاح من ضجيجهم ونضمن سكوته وهدهوه! إن دور الوالدين والأجداد تجاه الأولاد

فأحبهما وأحبّ مَنْ يحبهما». (صحيح الترمذي)، وحين سئل عن سبب حبه لهما قال: «وكيف لا أحبهما وهما ریحانتاي من الدنيا أشمهما» (رواه الطبراني)، فجعلهما ریحانتين وشبههما بهذه النبتة طيبة الرائحة خفيفة المحمل.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بأحفاده، ورغم مسؤولياته الكبيرة وأعماله الجسام، فإنه كان يلاعبهم ويعلمهم ويرأف بهم، انظر إليه صلى الله عليه وسلم وإلى خوفه على أحفاده ورحمته وحبه، ففي الترمذي من حديث بريدة قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذ جاء الحسن، والحسين، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه...» وحين كانا يلهوان والنبي صلى الله عليه وسلم في أعظم حالاته قرباً من الله لم يشأ أن يقطع عليهما لذة اللهو المحببة للأطفال، فعن عبد الله بن مسعود قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، فإذا سجد وثب الحسن، والحسين، على ظهره، فإذا منعوهما أشار إليهم أن دعوهما، فلما قضى الصلاة وضعهما في حجره، فقال: «مَنْ أحبني فليحب هذين» (صحيح ابن خزيمة).

ومع حبه العظيم كان معلماً ومرشداً؛ فحين أخذ الحسن ثمرة من تمر الصدقة في فمه أخرجها منه ومنعه من أكلها وقال: «كخ، أي بني! أما علمت أنا لا تحل لنا الصدقة» (صحيح ابن حبان)، يفيض عليهم من فيض حبه فيحملهم ويمشي بهم ويقبلهم ويعلن حبه لهم، فعن أبي هريرة قال: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن، وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة -يقبل- وهذا مرة، حتى انتهى إلينا...» (أخرجه النسائي).

أحفادنا.. والحياة المعاصرة

من ينظر لحال أحفادنا هذه الأيام يجد أنهم في حاجة أكبر للرعاية النفسية والتربوية والاجتماعية، وذلك في ظل الظروف المحيطة بالأسرة من جانب، وبالمجتمعات من جانب آخر، فلم تعد البيوت تتسع للأسرة الكبيرة كما كان من قبل، وإن اتسعت فإن الحياة الحديثة لا تساعد على سهولة الاجتماع الأسري كما كان من قبل،



تنمية أسرية

نجلاء محفوظ

كاتبة ونائبة رئيس تحرير «الأهرام»

«كورونا».. وتحديات التعايش النفسية والصحية

ويمكنك الاستفادة من مكالماتك الهاتفية بالحركة والمشي أثناءها. يجب ممارسة الرياضة ما استطعنا؛ فهي ضرورة لهذا الوقت، ليس لمنع الترهل أو ضياع اللياقة البدنية فقط، ولكن لدورها المهم جداً في تحسين الحالة النفسية وتجديد النشاط وحيوية العقل وزيادة التركيز.

احرص على غسل اليدين بالماء والصابون؛ فهو العامل الأول للوقاية من فيروس «كورونا» مقارنة بالحماية التي يوفرها ارتداء القفازات، ولكن الأخيرة ضرورية أثناء تنظيف المنزل وتعقيمه، ورعاية المرضى، وأثناء التسوق أو استخدام الصراف الآلي

راقب نفسك

لا تنكر قلقك، ولا تصف نفسك بالضعف أو قلة الإيمان، ولا تستسلم له، ولا تتجاهله؛ وقل لنفسك: سأجعل القلق خادمي ولن يكون سيدي أبداً؛ سأسخره لاتخاذ المزيد من الاحتياطات، ولن أسمح له بإيذائي وبسرقة صحتي النفسية والجسدية، وتنبه متى يزداد قلقك؛ هل بعد الحديث مع بعض من يصدرون الطاقات السلبية، أم بعد مشاهدة بعض الفضائيات، أم بعد قراءة بعض المنشورات على مواقع التواصل الاجتماعي؟ وراقب نفسك؛ هل زاد قلقك، وأصبحت سريع الانفعال وعانيت من الأرق؟ إذا

الرياضة ضرورية ليس للياقة البدنية فقط ولكن لدورها المهم في تحسين الحالة النفسية وتجديد النشاط

وسوء الحالة النفسية.

ونوصي بالاهتمام بمتابعة الحالة الصحية؛ فقد لاحظنا امتناع بعض مرضى الأمراض المزمنة من الذهاب للأطباء للمتابعة الدورية خوفاً من انتقال العدوى عند الذهاب للعيادات والمستشفيات، وهذا خطر جديد لا داعي لتكبد، والأفضل ارتداء الكمامات والتزام الحذر ومتابعة الذهاب للأطباء وعدم إهمال أي بوادر لأي مرض ومنعها من التفاقم للحفاظ على الصحة ومنع أي تراجع بالمناعة الصحية.

وننبه إلى تناول الخضراوات والفواكه والبروتين يومياً، وتقليل النشويات والحلوى حتى لا نصاب بالبدانة، وتناول الفيتامينات، خاصة فيتامين «سي» والزنك، وشرب المياه بكثرة، والنوم لساعات كافية، والاسترخاء وإغماض العينين لبضع دقائق يومياً؛ لتهدئة العقل والجسم، وهو ما نحتاجه دوماً وفي أوقات الأزمات أكثر، ولنجعل ذلك عادة.

تجنب الكسل وانخفاض النشاط؛ لما لهما من آثار ضارة نفسياً وصحياً، بل ويضر بصحة العقل، واحرص على الحركة،

لا مفر من التعايش مع فيروس «كورونا» الذي اجتاحت العالم ويواصل الانتشار، ويؤكد العلماء أنه سيزل وقت لا يجزم به أحد حتى الآن، واقع جديد يفرض علينا تحديات لم نعشها من قبل، ولم نفكر بها يوماً، ويقال: «إن الإنسان المفاجئ نصف مهزوم»؛ فلنسارع باستعادة ثباتنا النفسي وهدوء العقل لنتمكن من الفوز بمشيئة الله سبحانه في اختبار «كورونا»، واجتياز تحدياته النفسية والصحية بنجاح.

ومعنى التعايش لغوياً هو العيش مع الآخرين بألفة ومودة، وهو هدف غير واقعي مع «كورونا»؛ ولكن تقبل وجوده برضا قلبي وبقين عقلي بأن الخالق عز وجل سيكتبننا من الناجين منه، ومن المؤمنين الذين يسلمون بصدق وسكينة؛ إذ توجد حكمة إلهية لا نعرفها، ونحسن الظن بالخالق عز وجل، ونلج بالدعاء بسرعة انتهاء الوباء والنجاة للعالم كله.

خطر جديد

نبدأ بالتحديات الصحية، ومنها الخوف من الاعتماد على «كورونا» والتراخي - تدريجياً - بالالتزام باحتياطات الوقاية وما يتبعه - لا قدر الله - من زيادة فرص الإصابة به، أو المبالغة باستخدام المطهرات، وفرط الخوف والقلق وهما يتسببان بخطر تراجع المناعة الصحية؛ فلا شيء ينهكها كالفرع

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» (التوبة: 51)، ولنحرص على تحديد مواعيد النوم والأكل؛ فالفوضى تضعف الصحة النفسية وتتسبب بالاضطراب، مع التغيير؛ فتشابه الأيام يتسبب بالملل وضيق الصدر والاكتئاب، ونحرص على إجراء مكالمات يومية مع من نهتم بأمهم.

ونذكر أن وقوع البلاء أهون من انتظاره، وتوقع الأسوأ يسلب الطاقات ويضيع العمر، وإذا حدث -لا قدر الله- ما نخاف منه نكون قد أنهكنا أنفسنا وأضعفنا قوتنا الجسدية والنفسية.

جوائز ومكاسب

تعامل بلطف مع أفراد أسرتك، وشجعهم على المثل، وقم بدور الإطفائي بإنهاء أي خلافات تنشأ أولاً بأول؛ فقد تتزايد المشكلات بسبب البقاء الإجباري في المنازل، فلننتبه ونمنع استفحالها، وتذكير الجميع أننا نشارك الضغوط والضيق وليس مقبولا زيادتها بتعمد المضايقات أو بعدم التراجع عنها.

ونحتاج جميعاً إلى الصبر؛ للتعامل مع كل ما لا نحب؛ «كورونا» وغيره، ونحتاج الصبر مع أنفسنا ومع الآخرين، كما نحتاج أكثر لشكر الله تعالى على كل ما لدينا من نعم حالياً؛ فالشكر هو الوقود الحقيقي للصبر الجميل؛ فكما رزقنا الله سبحانه النعم بلا حول ولا قوة منا، سيرزقنا أيضاً الصبر وجوائز الصابرين.

ويمكن أن يكون للالتزام بالبقاء بالمنزل مكاسب، خاصة للمتزوجين؛ بالحرص على تجنب الانتقادات والتعامل بلطف مع الطرف الآخر بلا شروط مسبقة، وتقبله كما هو، وزيادة الرصيد الجميل لديه لمحو الرصيد السلبي، وإزالة الحواجز النفسية المتراكمة -إن وجدت- بهدوء وبلا تعجل للنتائج، وتجديد الود والتراحم، ومضاعفة الاحترام والتقدير؛ وسيحصد الثمار الرائعة ولو بعد حين. ■

نود طرد فكرة الإجبار ببقائنا في البيوت؛ لأنها مجهدة نفسياً، ولنعمل على اتساع أهدافنا بالحياة، وعلى رأسها إرضاء الله عز وجل، مع تخصيص وقت يومياً للترفيه المباح، ونوقف عن الهات وراء أخبار «كورونا» وانتظار نهايته، ولا نوقف الحياة، ولنحرص على البقاء منشغلين؛ فالانشغال الذكي بما يفيدنا يحسن صحتنا النفسية ومن ثم العقلية والجسدية، بينما الفراغ يجذبنا للتفكير بما يؤذي.

وعلياً أن نحرص على قراءة القرآن الكريم يومياً؛ لتزود بالسكينة ولنرضى عن أنفسنا، ولا نفكر باحتمالات المرض، ونركز على الوقاية وحسن الظن بالله وحده، فالتفكير بالمرض يستدعيه من خلال الجزع وإضعاف النفس.

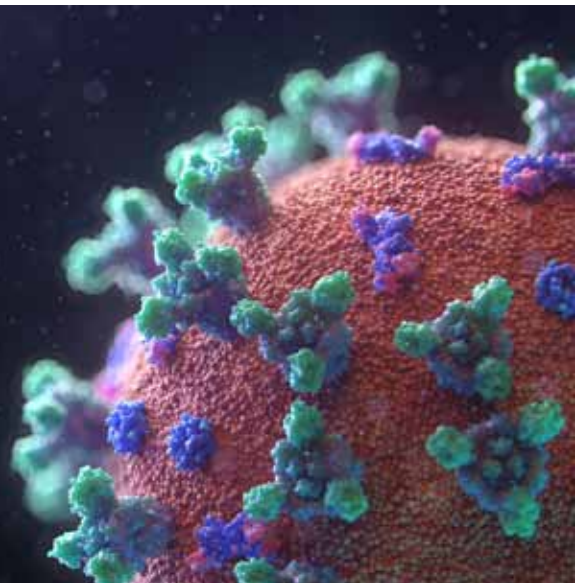
ولنخصص وقتاً يومياً للقراءة؛ ليرتاح العقل وتهلأ النفس وتتسع الحياة ونشعر بالرضا؛ لأننا نستفيد من أوقاتنا ونفيد الآخرين بخبرات جديدة، وإذا لم تكن تحب القراءة فإمكانك قراءة ملخصات للكتب وستجدها على الإنترنت وربما شجعتك على حب القراءة.

وننادي بالاهتمام بالصحة العقلية والنفسية كما نهتم بصحة الجسد؛ فالتوتر الزائد يؤذي العقل ويضعف الذاكرة ويتسبب بأمراض جسدية، ولنفكر كيف نجعل فترة «كورونا» مفيدة لنا في الحاضر والمستقبل. وعلياً تذكر الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا

اكتشفت ذلك فلا تتكره ولا تعتبره أمراً عادياً بسبب «كورونا»، وسارع بطمأننة نفسك وتناول المشروبات الطبيعية والمهدئة كاليانسون والليمون، وابتعد عن كل ما يضاعف قلقك وخوفك، وذكر نفسك بأن البعض يبالي في الإعلام والفضائيات بحثاً عن جذب أعداد أكبر من المتابعين، وهناك أمراض أكثر خطورة من «كورونا»؛ فخطر الفيروس يكمن في سرعة العدوى منه، وأن الوقاية ممكنة بمشيئة الله، ونسبة التعافي تزداد، وازرع في قلبك حسن الظن بالله والتوكل التام عليه سبحانه وتعالى، بعد الأخذ بالأسباب بجدية. نتوقف عند الخوف المشروع والطبيعي جداً من الموت، ولا نطالب بإنكاره؛ حتى لا يتضخم بعيداً عن سيطرتنا، ولنذكر أن الكثيرين يموتون يومياً بلا أمراض، وأن لكل أجل كتاباً، وأن الموت لا مفر منه؛ وهذا لا يعني انتظاره وتلوين الحياة بالكآبة، ولكن تحسين استثمار الحياة، وشكر الله سبحانه على كل النعم التي لدينا والاستمتاع بها، والسعي ليكون كل يوم أفضل مما سبقه دينياً ودنياً، وكل أزمة خير ونور؛ وقليلون جداً من يختارون الانتباه لهما، ويعيدون ترتيب الحياة والأولويات والعلاقات أيضاً وما يستحق الانشغال به، وما يستحق الغضب أو الحزن، ولنضع القول الرائع نصب أعيننا دائماً: لا تقرح ولا تحزن إلا على ما ينير لك قبرك؛ فنحسن تقدير نعمة الحياة وندعو لأنفسنا وللجميع بطول العمر وحسن العمل وحسن الخاتمة.

أحرص على تخصيص وقت يومياً للقراءة ليرتاح العقل وتهلأ النفس

قد تتزايد المشكلات بسبب البقاء الإجباري في البيوت فلننتبه ونمنع استفحالها وعلياً التحلي بالصبر





د. يوسف السند

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية بالكويت

الفوائد التربوية والإيمانية من طبقات الشافعية

أحمد بن محمد الجزواني

على ما يظهر.
ولم يزل يُقرأ عليه الحديث إلى أن
غربت الشمس من ليلة وفاته، وهو يرد
على القارئ اللحن الخفي، وصلى يوم
الجمعة الصبح عند انفجار الفجر، وتوفي
عقبه فجأة⁽¹⁾.

الفوائد الإيمانية والتربوية:

- الصفات الإيمانية من الخوف من الله تعالى والورع وغيرها تعين العالم على طلب العلم واتقانه والتحمل من أجله.
- كانت الرحلة في الآفاق والتنقل في الأقطار وسيلة من وسائل طلب العلم لدى علمائنا الأفاضل؛ ولذا بارك الله في علمهم إلى يومنا هذا.
- طلب العلم من الصغر له بالغ الأثر في رسوخ قدم العالم وتميزه طوال حياته، وهذا ما يجب أن يحرص عليه المربون.
- كثرة الشيوخ الذين يتلقى عنهم العالم العلم والخلق والسمت الحسن رصيد قوي في تكوين متانة العلم ورسائنه وقوته لدى العالم وصياغته لشخصيته.
- كان العلماء أمريين بالمعروف ناهين عن المنكر مقيمين لحدود الله تعالى لشعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم ولخوفهم من سؤال الله تعالى وحسابه يوم القيامة.
- كان العلماء يتدربون العلم حتى آخر رفق من حياتهم فيرزقون حسن الخاتمة.
- والحمد لله رب العالمين. ■

الهامش

(1) عبد الوهاب بن علي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج6، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي.

قال شيخنا الذهبي: لا أعلم أحداً في الدنيا حدث ثيفاً وثمانين سنة سوى السلفي.
تفقه السلفي على إلكيا أبي الحسن الطبري، وفخر الإسلام الشاشي، ويوسف بن علي الزنجاني.
وأخذ الأدب عن أبي زكرياء التبريزي، وغيره.

وقرأ القرآن بالروايات.
ذكره ابن عساكر، فقال: سمع ممن لا يحصى.

وقال ابن السمعاني: هو ثقة، ورع، متقن، مثبت، حافظ، فهم، له حظ من العربية، كثير الحديث، حسن الفهم والبصيرة فيه.

وقال الحافظ عبد القادر الرهاوي: سمعت من يحكي عن الحافظ ابن ناصب، أنه قال عن السلفي: كان ببغداد كأنه شعلة نار في تحصيل الحديث.

قال عبد القادر: وكان له عند ملوك مصر الجاه والكلمة النافذة، مع مخالفته لهم في المذهب، وكان لا تبدو منه جفوة لأحد، ويجلس للحديث فلا يشرب ماءً، ولا يبصق، ولا يتورك، ولا يبدو له قدم، وقد جاوز المائة.

قال عبد القادر: وكان أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أزال من جواره منكرات كثيرة.

وقال ابن نُقْطَة في السلفي: كان حافظاً، ثقة، جوالاً في الآفاق، سالا عن أحوال الرجال، شجاعاً.

توفي صبيحة يوم الجمعة، الخامس من شهر ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسائة فجأة، وله مائة وست سنين،

«أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفه، الحافظ الكبير، أبوظاهر بن أبي أحمد السلفي، الأصبهاني، الجزواني.

كان حافظاً جليلاً، وإماماً كبيراً، واسع الرحلة، ديناً، ورعاً، حجة، ثبّتاً، فقيهاً، لغوياً، انتهى إليه علو الإسناد، مع الحفاظ والاتقان.

قيل: مولده سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة تخميناً، لا يقيناً.

وقد طلب الحديث، وكتب الأجزاء، وقرأ بالروايات في سنة تسعين وبعدها.

وحكى عن نفسه أنه حدث سنة اثنتين وتسعين، وما في وجهه شجرة، وأنه كان ابن سبع عشرة سنة أو نحوها.

ثم رحل في رمضان، سنة ثلاث وتسعين، إلى بغداد، وأدرك نصر ابن البطر. وسمع ببغداد أيضاً من أبي بكر الطريثي، وأبي عبد الله بن البصري، وثابت بن بُندار، والموجودين بها إذ ذاك، وعمل «معجماً» لشييوخها.

ثم حج، وسمع في طريقه بالكوفة، من أبي البقاء المَعْمَر بن محمد الحَبَال.

وبمكة، من الحسين بن علي الطبري، وبالمدينة من أبي الفرج القزويني، وعاد إلى بغداد فتفقه بها، واشتغل بالعربية، ثم رحل إلى البصرة سنة خمسائة.

وقف لخدمة القرآن الكريم



وقف

قال رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

صدقة جارية
وأجر لا ينقطع



سهمك الوقفي يصنع الكثير

• دعم أنشطة تعليم وحفظ وتلاوة القرآن الكريم • رعاية ودعم الحفاظ اليتامى والفقراء • توفير مصاحف التعليم للطلبة والحفاظ المكفوفين • كفالة ورعاية محفظ القرآن وإعانتة على أداء رسالته • إعمار المساجد بالحلقات القرآنية • تدريب معلمي ومعلمات القرآن الكريم على أيدي كبار علماء القراءات.



أو عن طريق الاستقطاع البنكي - بيت التمويل الكويتي
رقم حساب: 391010004473
رقم الأبيان: KW47KFHO0000000000391010004473

شاركنا .. في الخير 11 666 971
almanabr.org | @almanabr



الصدقة أجر يبقى

التبرع .. عن طريق الاستقطاع أو عن طريق كي-نت



بنك الكويت الوطني

1 0 0 0 3 1 4 5 7 7



بيت التمويل الكويتي

0 1 1 1 4 0 0 1 0 5 7 7

94 06 40 61 ٢ 24 83 44 14